الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعـــة ســـرت

كلية الآداب والتربية – قسم اللغة العربية

# الدّلالة

## بين المركزية والهامشية
## في لغة الصادق النيهوم

رسالة مقدمة إستكمالا لمتطلبات درجة الإجازة العالية
" الماجستير "

في الدراسات اللغوية

إعداد الطالبة : مهارة مبارك محمد حسين
إشراف الأستاذ الدكتور : عبدالله عبدالحميد سويد

العام الجامعي : 2009 – 2010

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعة سرت

كلية الآداب والتربية　　قسم اللغة العربية

# (الدلالة بين المركزية والهامشية في لغة الصادق النيهوم )

إعداد :- مهارة مبارك محمد حسين .

أعضاء لجنة المناقشة:-

١- أ.د .عبد الله عبد الحميد سويد.

٢- أ.د .صالح سليم الفلاخري.

٣- أ.د - الصيد محمد ابو ديب.

توقيع

.....

.....

.....

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا
الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ
إِلَّا الْفَاسِقِينَ

صدق الله العظيم

البقرة – الايه 26

# الإهـــــــداء

إلى أبي الذي أجلسني على مقاعد الدراسة ورحل في يوم تخرجي

إلى عائلتي:

الكبيرة...أمي واخوتي

والصغيرة...زوجي وابني

# الشكر

أحمد المولى عز وجل الذي وفقني في الوصول إلى ختام هذا العمل وما نابني من فائدة إثر ذلك.

اتقدم بخالص احترامي و شكري للأستاذ المشرف الدكتور: عبدالله عبد الحميد سويد. لتفضله بالاشراف على هذه الرسالة ، ولما قدمه من توجيهات قيمة أعانتني على إنجازها .

كما أدين بالعرفان إلى رفيقي في الحياة، الذي واكب هذا العمل بما يملك من جهد منذ بدايته، وكان نعم الرفيق الذي لم يدخر ما بوسعه في المساعدة.

اتقدم أيضا بجزيل الشكر إلى الدكتور زيدان مبارك الذي سهل لي صعوبات كثيرة لم أكن لأجتازها بسهولة.

كثيرا من الإمتنان لأسرتي الحبيبة لدعمها المعنوي الكبير منذ بداية دراستي العليا.

ولا يفوتني أن أشكر الدكتور اسماعيل التونسي بجامعة التحدي، لعونه الذي لا يستهان به في إعداد خطة هذه الرسالة.

## قائمة محتويات البحث


| ر . م | | الصفحـــة |
|---|---|---|
| 1 | الآية القرآنية | |
| 2 | الإهداء | |
| 3 | الشكر | |
| 4 | مقدمة | 1 |
| 5 | تمهيد | 6 |
| | **الفصل الأول – الدلالة اللغوية** | |
| 6 | المبحث الأول– المفهوم والنشأة | 15 |
| 7 | المبحث الثاني – في الدلالة المركزية والهامشية | 27 |
| 8 | المبحث الثالث – نوعا الدلالة الهامشية | 36 |
| | **الفصل الثاني – الدلالة الهامشية الاجتماعية** | |
| 9 | المبحث الأول– دلالة المفردات | 48 |
| 10 | المبحث الثاني – دلالة التراكيب (العبارات الاصطلاحية والأمثال الشعبية) | 63 |
| 11 | المبحث الثالث– دلالة الأحداث والأماكن والشخصيات التاريخية | 74 |
| | **الفصل الثالث – الدلالة الهامشية الفردية** | |
| 12 | المبحث الأول– أثر السياق في تحديد الدلالة | 89 |
| 13 | المبحث الثاني – الدلالة عند المرسل | 100 |
| 14 | المبحث الثالث– الدلالة عند المتلقي | 113 |
| | **الفصل الرابع – الدلالة الإيحائية** | |
| 15 | المبحث الأول– الإيحاء لألفاظ يخشى ذكرها(اللفظ المحضور) | 123 |
| 16 | المبحث الثاني – الإيحاء لألفاظ يستقبح ذكرها ( اللفظ المبتذل ) | 136 |
| 17 | المبحث الثالث– الإيحاء لألفاظ يتشاءم من ذكرها ( اللفظ المخيف ) | 145 |
| 18 | خاتمة البحث | 153 |
| 19 | قائمة المصادر والمراجع | 156 |

## مـقدمـة

اللغـة وسـيلة الاتصـال الأولـى بـين بنـي البشـر، والأداة المعبـرة عـن آلامهـم وآمـالهم، وهـي مرآة الفكر الإنساني.

ولأن الطبيعـة الحقيقيـة للغـة لا يمكـن فهمهـا إلا مـن خـلال فهـم المعنـى. فلقـد سـجل التـاريخ أنهـا كانـت أولـى قضـايا العلـم التـي بحثهـا الإنسـان، وأنـه قـد توصـل إلـى أهميـة اللفـظ فـي سياقاته اللغوية المتعددة، ودلالاته المختلفة تبعاً لذلك.

والألفـاظ هـي لبنـة اللغـة الأولـى التـي أسسـت كيانهـا، ومـن ثـم كانـت مـن أهـم مسـائل البحـث اللغوي، ولقد عني الناس بالعلاقة بين اللفظ والمعنى، وهي غاية قديمة قدم اللغة نفسها.

ولأن دراسـة العلاقـات بـين الكلمـات فـي التركيـب اللغـوي، وفهـم دلالاتهـا فـي أوضـاعها المختلفـة، هـي الدراسـة الموضـوعية حقـا، وهـي التـي تعـين علـى فهـم النـص، وتـذوق مـا فيـه مـن جمـال، فلـم يعـد علـم الدلالـة بحاجـة إلـى مـن يـدافع عـن وجـوده، أو يبحـث عـن مبـرر للعناية به. فهو يلقى الآن من العناية ما تلقاه سائر علوم اللغة الأخرى.

احتـاج الإنســان للغـة ليعبـر بهـا عـن أغراضــه، وكانـت وسـيلة الاتصـال التـي يسـرت دائمـاً التعـاون الاجتمـاعي المنشـود، رغـم اخـتلاف بيئـات النـاس، وتجـاربهم وظـروفهم الحياتيـة ومـا يتركـه ذلـك الاخـتلاف مـن أثـر، إلا أنهـم يصــطلحون علـى قـدر مشـترك مـن الدلالـة الاجتماعية يمكن بواسطته استمرار الاتصال، وهو ما يعرف بالدلالة المركزية.

أمـا اخـتلاف دلالات الألفـاظ بـاختلاف الأفـراد وبيئـاتهم، ومـوروثهم الثقـافي، وتركيبـة عقولهم، فذلك ما يعرف بالدلالة الهامشية (ظلال المعاني)

هذا وقد اهتديت بعونه تعالى إلى دراسة الدلالة بين المركزية والهامشية في لغة الكاتب الأديب الصادق النيهوم، وقد اطلعت على معظم مؤلفاته ووجدتها حقلاً خصباً للدراسة الدلالية.

دفعتني إلى البحث في الدلالة المركزية والهامشية، جملة أهداف أنشدها من وراءه منها:

1ـ التعريف بعلم الدلالة، واكتشاف الفرق بين المعنى (le sens) والدلالة ( la semantique)

2ـ رغبتي في إلقاء الضوء على جانب مهم من هذه الدراسات وهو أهمية الكلمة وهي منفردة، وأهميتها وهي في السياق.

3ـ محاولة توضيح اللبس أو الخلط الحاصل عند البعض، بين مصطلحي (السيمانتيك) (والسيميائية).

3ـ رغبتي في معرفة الفرق بين: جمال اللفظ من حيث هو لفظ، وجمال المعنى من حيث هو معنى، وجمال الصياغة والتصوير في نظم الكلام، وبيان أن جمال الصياغة، هو الجمال الذي يتفاضل فيه المبدعون.

أما اختياري للغة الصادق النيهوم،فهدفي من ورائه:

1ـ ترجمة إعجابي الكبير بأسلوبه البديع، ومفرداته العربية البليغة، وما تحوي لغته من أدوات تعبيرية وتمرس وخبرة في استعمال اللفظ.

2ـ محاولة اكتشاف العلاقة بين استعمال النيهوم للدلالات الهامشية لبعض لألفاظ والتراكيب وقدرته الفائقة على عرض أفكاره وطرحها بطريقة تجمع بين الجد والسخرية.

3ـ سعيي إلى إبراز جانب إبداعي آخر للنيهوم ظالما ظل مهمشا وراء اهتمام القراء بما يطرحه من أفكار مثيرة للجدل، ربما كانت سببا في ابتعاد الدارسين والباحثين عن دراسة أسلوبه الكتابي، فلم تأخذ لغته حقها من الدراسة حسب اعتقادي، لأن معظم الدراسات التي تناولت أعمال النيهوم ركزت على فكره باستثناء رسالتي ماجستير وهي:

1ـ سالم مسعود العرابي، جامعة سبها ( المفارقة في أدب الصادق النيهوم)

2ـ عبد الرزاق محمد الماعزي، جامعة السابع من أبريل ( روايتا الشيخ والبحر لأرنست همنجواي و من مكة إلى هنا للصادق النيهوم، دراسة تحليلية)

وهي دراسات تبعد قليلا عما أتناوله في رسالتي هذه، والتي ظهرت ملامحها بعد جهد واطلاع، محاولة أن تكون دراسة موضوعية لاستخراج الدلالات الهامشية و الإيحاء، في لغة هذا الكاتب المبدع، ودورهما في توصيل الفكرة إلى المتلقي، بغض النظر عن ماهيتها. وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على جمع الحقائق والمعلومات ومقارنتها وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات مقبولة أو هو دراسة وتحليل وتفسير الظاهرة من خلال تحديد خصائصها وأبعادها وتصنيف العلاقات بينها، بهدف وصف علمي متكامل لها.

تطلبت طبيعة البحث تقسيمه إلى أربعة فصول، يشتمل كل واحد منها على ثلاثة مباحث مع مقدمة وخاتمة، وهي:

التمهيد:- تناولت فيه شخصية الصادق النيهوم، ونشأته والمؤثرات التي طالت ثقافته وعرض لمؤلفاته، وألحقت ذلك بنبذة عن منهجه في الكتابة.

**الفصل الأول:- مدخل نظري(الدلالة اللغوية)**

جاء المبحث الأول للتعريف بالدلالة في اللغة والاصطلاح، والتعريف بها باعتبارها علما مستقلا، عن العلوم اللغوية الأخرى، والحديث عن مفهومها ونشأتها والجهود الإنسانية المساهمة في وصول هذا العلم إلى ما هو عليه من التطور. وفي المبحث الثاني دخلت إلى موضوع البحث بتناول الدلالتين المركزية والهامشية تعريفا وشرحا وتفصيلا. أما المبحث الثالث فهو أكثر تفصيلا لأنواع الدلالة الهامشية وتفاصيلها حيث هي بحاجة إلى التفصيل أكثر من الدلالة المركزية المتعارف عليها.

**الفصل الثاني:- الدلالة الهامشية الاجتماعية**

في هذا الفصل بدأت مرحلة التطبيق على لغة النيهوم، حيث تناولت في المبحث الأول الدلالة الهامشية للألفاظ المفردة ، والتمثيل لذلك من كتاباته، باستخراج عدد من الكلمات التي يكثر من استخدامها والتي تستتر وراءها معان أخرى غير معانيها الظاهرة. وفي المبحث الثاني تناولت الدلالة الهامشية للتراكيب، الأمثال الشعبية، والعبارات الاصطلاحية، والأقوال المأثورة. أما المبحث الثالث فقد خصصته لدراسة دلالة الأماكن وكذلك الأحداث والشخصيات الحقيقي منها والأسطوري عند النيهوم، وما يعنيه باستخدامها.

**الفصل الثالث:- الدلالة الهامشية الفردية**

يركز هذا الفصل على مفهوم السياق وأنواعه، ودوره في تحديد وتغيير دلالة الكلمة. ففي المبحث الأول تناولت بشكل مختصر المنهج السياقي وأتباعه، والنظرية السياقية ومؤسسيها، وتتبعت الاهتمامات السابقة بالسياق عند العرب وغيرهم، كما تعرضت باختصار لأنواع السياقات حيث كان التمثيل لها من كتابات النيهوم. وكان

المبحث الثاني للدلالة عند المرسل (متكلم أو كاتب) وكيفية اعتماد القارئ على سياق مكونات النص في استخراج المعنى. أما المبحث الثالث فقد كان للمتلقي حيث تناولت فيه نظرية التأويل في القراءة، وحاولت التركيز على كيفية التأويل ومشروعيته وشروطه وأهميته في إتاحة الفرصة أمام المتلقي لفهم النص.

## الفصل الرابع:- الدلالة الإيحائية

في الفصل الرابع تناولت المحظورات اللغوية أو ما يعرف في الانجليزية والفرنسية بالتابو (taboo) وهو الألفاظ التي يمنع تناولها اجتماعياً، حيث يفرض المجتمع قيوداً على استخدامها. فخصصت المبحث الأول للمحظورات الدينية والسياسية. والمبحث الثاني لما يحرم استعماله من الألفاظ بسبب ابتذاله واستقباحه، أما المبحث الثالث فقد كان للألفاظ التي يخشاها الناس لما لظاهرة التفاؤل والتشاؤم من أثر في بعض الثقافات.

## الخاتمة:-

وجاءت خاتمة الدراسة مبرزة أهم ما توصلت إليه من نتائج في موضوع الدلالة، أو فيما يخص لغة الصادق النيهوم. وختمت الرسالة بقائمة المصادر والمراجع.

وما قمت به ما هو إلا محاولة متواضعة ودت من خلالها أن تكون الأبواب مفتوحة للباحثين لإثراء مشهدنا العلمي والثقافي.

# تمهيد

## النيهوم : شخصيته ، ثقافته ، مؤلفاته

أطل الصادق النيهوم على القارئ في ليبيا للمرة الأولى خلال الستينيات من القرن الماضي، متميزا بالأسلوب البديع الساحر الذي أسر الكثيرين وأثار شغفهم بمفرداته العربية البليغة، التي استخدمها ببراعة متميزة. واتفقوا- وإن اختلفوا حول أفكاره وآرائه- على أنه استقطب بالأسلوب الذي برع في كتابته عدداً من المعجبين، مؤسساً بذلك مدرسة أسلوبية تعبيرية ذات نسق خاص.

إن المتتبع للحركة الأدبية في ليبيا في ستينيات القرن الماضي لا يستطيع بأي حال من الأحوال أن يتجاهل نتاج كتابات النيهوم وتأثيرها على عدد كبير من كتاب تلك الفترة. وسر نجاحه يكمن في موهبته أولا، وفي تحصيله الأكاديمي ثانيا، والأهم من ذلك كله ثقافته الاجتماعية الواسعة، وقناعته بالكلمة وأهميتها في أحداث التغيير، وحبه لوطنه ومجتمعه، الذي حمله معه في غربته وتابع همومه وكتب عنه طوال رحلته.

ولد سنة 1937م في مدينة بنغازي وتحديدا في منطقة حي سوق الحشيش[1] المشهور بشعبيته وترابطه الاجتماعي. لم ينعم بحنان أمه التي توفيت وهو صغير جدا، فكان دائم البحث عن الحنان هنا وهناك، ولعل هذا البحث الداخلي الغامض، هو الذي قاده إلى الهجرة من بلد إلى بلد، فصار بحق كطائر مهاجر، يبحث عن الدفء باستمرار، إلى أن استقر في رحم أمه الأرض .

أما والده فكان نقابياً معروفاً، وقد عمل قبل ذلك بحاراً وقاسى من أهوال السفر البحري الكثير وجابه مواقف عسيرة، وعايش معاناة كبيرة جعلت منه رجلاً صلباً له قدرة فائقة على مواجهة الصعاب، والمواقف الجدلية وإقناع الآخرين، لكنه كان شديد العطف على ابنه الصادق، وقد

---

1 - سوق الحشيش: ميدان بتوسط مدينة بنغازي قديما، كان سوقا تباع فيه حشائش المائدة، وهو الحي الذي شهد أحلام طفولة النيهوم وشبابه.

منح الأب ابنه حرية واسعة في تحركاته وتصرفاته في سن مبكرة، وكان يكن له إعجاباً شديداً لما يسمعه عنه ومنه، ولعل الابن قد نال من والده بعض التأثير في مبكر حياته.[1]

حسب روايات معاصريه كان النيهوم متميزاً، كثير التفكير في الأمور التي تحيط به قليل الكلام، يستمع كثيراً ولا يجادل إلا عند الحاجة، يبتعد عن منطق الأنا بقدر المستطاع، لا يقفز على الأحداث، ولا ينساق للكلام، إلا إذا لزم الأمر.

في المدرسة الابتدائية بدا مثار إعجاب مدرّسيه لذكائه وفطنته، إذ تميز بسرعة الاستيعاب والاستعداد للمناقشة، وقد برع في كتابة مواضيع الإنشاء من حيث الفكرة واختيار الألفاظ وتحقيقها للغرض المطلوب في السياق.

كانت ولادته ببنغازي المطلة على البحر المتوسط، والتي شكلت بنسيجها الاجتماعي الحضري والبدوي مركزاً تجارياً تتقاطع عنده كثير من الطرق وتلتقي، ونشأ وسط حي شعبي شهير كما قدمت، شهد حياة ونشأة كثير من الأدباء والكتاب والفنانين فيما بعد أمثال عوض عبيدة[2]، ويوسف الدلنسي[3]، وطالب الرويعي[4]، وعبد السلام قادربوه[5]، وخليفة الفاخري[6]، وأنيس السنقاز[7]، ورشاد الهوني[8]، وغيرهم.

عاش حياته وتجاربه المختلفة سواء عبر إقامته ودراسته من المراحل الأولى إلى الجامعة في بنغازي، أم عبر غربته أعواماً في الخارج بدءاً من سنة1963م، السنة التي كانت بداية الصدمة له، والتي خلقت منه كاتباً، رغم بداياته المتواضعة والتي كان يوقعها باسم(صادق) وكأنه على استحياء.

---

1 ـ ينظر: طرق مغطاة بالثلج عن الصادق النيهوم، جمع وإعداد وتقديم سالم الكبتي، تالة للطباعة والنشر.طرابلس، الطبعة الأولى 2001م، ص62.

2 ـ عوض عبيدة، رسام ليبي درس الفن في ايطاليا، وله معرض دائم بمجمع نادي الفروسية ببنغازي.

3 ـ يوسف الدلنسي، برز اسمه في خمسينيات القرن الماضي ككاتب مقالة وقاص وشاعر يكتب بالعامية، كان يوقع انتاجه باسم ابن الأندلس.

4 ـ طالب الرويعي، من رواد القصة الليبية القصيرة، كان منزله ملتقا لمثقفي تلك الفترة.

5 ـ عبد السلام قادربوه، شاعر غنائي ليبي، له مؤلفات عن التراث منها أمثالنا الشعبية.

6 ـ خليفة الفاخري، كاتب وصحفي ليبي متميز، وصديق حميم للصادق النيهوم.

7 ـ أنيس السنقاز، كاتب مقاله ليبي، كان ينشر مقالات اسبوعية في صحيفة الحقيقة، وهو من أصدقاء الصادق النيهوم.

8 ـ رشاد الهوني، قاص وكاتب مقالة ليبي، كان له بابا اسبوعيا في صحيفة الحقيقة نشر من خلاله قصصا وقصائد ومقالات، ثم اصبح مديرا لتحريرها بعد ذلك، وفي فترة لاحقة اصدر مع الصادق النيهوم سلسلة "مكتبة في كل بيت".

فتحت هذه الفترة - التي قضاها في أكثر من بلد في الخارج، ثم استقراره وزواجه في هلسنكي بفنلندة - عينيه على أبعاد أخرى من الحياة، من خلال دراسته العليا في علوم اللغة، والسفر الدائم بين المدن والبلدان، والثقافة المستمرة التي بدأت بذرتها قبل ذلك في بنغازي من خلال تراجم (منير البعلبكي) وتأثره بها، وقراءاته لأعمال الكثير من رواد الإبداع الإنساني في مختلف المجالات وحول كثير من الهموم، واستلت من أعماقه كل ذكريات الطفولة المحزنة التي عاشها وجيله إثر سنوات الحرب العالمية الثانية بما حملته من مرارة وانكسار. وجعلته يعيش في منطقة وسطى بين عالم يختلف عن عالمه الأول، وحياة أخرى تختلف نهائيا عن حياته، عالم يعيش حريته ويسابق الزمن، ويبتكر ليصل إلى أجواء الفضاء، ويموج بمختلف التيارات والأفكار والمتناقضات، والأشياء الحسنة والرديئة، والتقدم المذهل، لكن تشوبه مظاهر الاستعلاء على الآخرين والتنازع الروحي، وبين مجتمعه الذي يشكو التخلف والأمية الفكرية والتأخر في كافة المجالات قياسا بذلك العالم وتلك الحياة، ولعل هذا الموقف قد عاشه بعض من المثقفين العرب وصدمهم صدمات خطيرة، وشكل لهم أزمة قوية، وانبهر بعضهم به جرّاء هذه الصدمات. لكن اليوم ظل يرى الغرب بأفكاره تلك، وبقوته الجبارة يستند إلى حضارة عرجاء سحقت الإنسان وحولته إلى مجرد رقم في طابور طويل.

تشكلت تجربته باعتباره كاتبا من خلال واقعه المحلي، وطفولته، وأصدقائه، وظروف حياته ومجتمعه، ومن بدايات اختمار الوعي بضرورة تحقيق شيء وتقديمه للآخرين في ضوء الثقافة السائدة في ذلك المجتمع، التي بدأت مع اكتشاف النفط وانعكاساتها وغيّر ذلك من العوامل المؤثرة آنذاك، ثم استناده إلى قيم ومثاليات عاشها في مجتمع بعيد عن واقعه.

شرع في تلمّس كثير من القضايا الفكرية والاجتماعية بجرأة فاجأت البعض في ليبيا، معتمدا في ذلك على المقالة الساخرة، الملينة بأشكال الرمز المتعددة، والدراسات

الاجتماعية المتنوعة، قارنا نهما للأقدمين والمعاصرين من أمثال البياتي، ونزار قباني ومحمد الفيتوري، محاولا إيصال أفكاره موقنا بأن التعامل مع الحرف مهمة معقدة وبأن الخلق الفني يحتاج إلى موهبة ومران.

استقبلت هذه التجربة الجديدة بشيء من الفرح والحذر؛ الفرح لأن الساحة الليبية التي كانت تخطو في سبل غير ممهدة، وتستكشف الدروب، وتحاول بهدوء أن تضع بصمات لشخصيتها وسط الطرق والتيارات المعاصرة، قد اكتسبت شاباً يتقد حماسة، ويملك موهبة، ولديه ما يقوله ويطرحه، ويبحث عن الصدام ويرمي بأحجاره في المياه الساكنة.

والحذر بدرجات متفاوتة مما يطرحه بشجاعة، وما يشكل هاجسا يلح في كتاباته من خلال فكرة مؤداها قلقه الساكن، وتنامي صعوده المستمر، وانتشاره الواسع من خلال حضوره شبه اليومي في صحيفة الحقيقة[1] الصادرة في بنغازي.

أعطى الفرح والحذر لتجربته زخما وحرارة، سواء اتفق معه البعض أم اختلف واكتست هذه التجربة، بفضل تعاطف جمهور كبير من القراء، بأبعاد وألوان متعددة.

كانت تجربته خليطا ضخما من الرؤى، ورصيدا واسعا من الحلم بتغيير الواقع والإنسان وصولا بهما إلى ما يراه الأفضل، ولاشك في أن كلا من الدارس والباحث والناقد سيجد ذلك حاضرا في أدبياته.

إن جيل القراء من الليبيين الذي عاصر النيهوم هو ذلك الجيل الذي أحس بطريقة ما بأن تلك التجربة تتحدث بلسان حاله، وتتحدث عن واقعه ورؤاه، وعن همومه وأحلامه رغم ما علق بها من سخرية وضبابية، فقد عزز التفرد والشيء الذي لم يكن مألوفا من مكان ودور الحياة الثقافية والأدبية في ليبيا في تلك الفترة، وأثرى تجاربها السابقة التي تستحق الاحترام والتبجيل في كل الظروف.[2]

---

[1] ـ صحيفة ليبية يومية ثقافية.صدر العدد الأول منها في 7 الربيع(مارس)1964م، في مدينة بنغازي، وكان لها الفضل في التعريف بكثير من كتاب تلك الفترة.

[2] ـ ينظر: طرق مخطأة بشكل، سالم الكبتي، ص13-18 .

أثار النيهوم مبكرا بعض القضايا والمواضيع بين قرائه في ليبيا والتي شغلت المواطن العربي، وبإعادة قراءتها الآن يكتشف المتابع أنها مازالت من القضايا التي تتصدر اهتمام المثقفين والمفكرين على تنوع اتجاهاتهم .

فبعض القراء العرب الذين تابعوا كتاباته أحسوا - رغم معرفتهم المتأخرة بأفكاره- بأنهم أمام واحد من أولئك الاجتماعيين الساعين إلى تحريك الإنسان العربي.

مثل نتاج النيهوم الذي كتبه لصحيفة الحقيقة، ورسائله التي بعث بها لأصدقائه من غربته في أوروبا، بدايات التجربة الكتابية عنده، حيث كانت تلك الرسائل تصل بانتظام إلى أسرته وأصدقائه، وخاصة صديقه رشاد اليوني، الذي اكتشف أن فيها شيئاً يتجاوز حميمية الصداقة التي تربطهما، فأخذ ينشر بعضها ويقتطف فقرات من بعضها الآخر ويعلق عليها في الباب الأسبوعي الذي كان يحرره في الصفحة الأخيرة من صحيفة الحقيقة.

وقد لاحظ القارئ أنها تشكل وجهاً آخر لإبداع النيهوم الذي عرفه كاتباً، ورأى أنها تتميز بأسلوب يختلف عن أسلوب كتابة الرسائل المألوفة بين الأصدقاء، وأدرك ذلك الاختلاف الذي جعل رسائل النيهوم جزءاً من بداياته كاتباً وقطعة من تجربته، وربما لا نذهب بعيداً إذا قلنا بأن أسلوبه الأدبي والفني قد تشكل منها، وتطور إلى أن أصبح مقالات ومواضيع تطرح أفكاراً وتناقش مشاكلاً وتبحث عن حلول.

يقول سالم الكبتي: " هذه الرسائل تعطينا أمثلة لنوع من المراسلات (الأدبية) كان سائداً في فترة الستينيات من القرن الماضي، وتفصح عن أحلام جيل تمثله شخصية النيهوم وأصدقائه. جيلٌ يمتلئ بالقلق، والترقب، والاندهاش، والتعطش إلى معرفة العالم والانفتاح عليه، وإلى أداء دور في بلاده من خلال ثقافته ومعارفه، ومحاولة تكوين تجربة شخصية متفردة تسعى للحياة والنور"[1].

---

1- نوارس الشوق والغربة، بعض من رسائل النيهوم، إعداد سالم الكبتي، دار للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2002م، ص 13.

تعبّر تلك الرسائل عن مرحلتين: مرحلة دراسته العليا في ألمانيا، ثم في مصر في الفترة ما بين سنتي (1963 و 1965م)، والتي يبدو فيها حنينه قويا لأسرته، وأصدقائه ومدينته بنغازي، وعدم تناغمه مع عالم أوروبا بل والسخط عليه والنفور من بعض ملامحه وصدمته في القاهرة من القوالب الأكاديمية الجافة، والمعاملة الروتينية التي حاولت تقييد تطلعاته وما تهفو إليه نفسه القلقة. ومرحلة استقراره في هلسنكي بفنلندا والعمل هناك حيث تزوج من فتاة فنلندية، وأنجب ابنيه كريم وأمينة، وهي المرحلة التي تبدو أكثر نضجا، وتشكل الفترة من نهاية سنة 1965م إلى سنة 1971م، فهي مزيج من الإحساس الشخصي والتفاعل مع الذات والموضوع، ومع قضايا الفكر والثقافة والإنسان بوجه عام وتكاد تكون وجها آخر لأفكاره ودراساته التي كان يوالي نشرها في ذات الفترة.

وقد جاءت رسائله كمقالات واثقة تقف على أرضية صلبة، مما ساعد قلمه على أن يتخذ الطريق بجدارة إلى كبريات الصحف والمجلات العربية، فكتب منذ منتصف السبعينيات من القرن الماضي لمطبوعات نالت احترام القارئ العربي، كالحوادث والأسبوع العربي وأخيرا مجلة الناقد الذي كان ظهوره فيها بارزا ومهيبا.

عرف القارئ النيهوم من خلال هذه الرسائل المنشورة في صحيفة الحقيقة، ثم عرفه كاتبا في الصحف. وقد فرضت مقالاته الجدلية سوقا واسعا للقراءة، عبّر عن نهم القارئ العربي للأدب الرافض الذي أصبح النيهوم رمزا له، فجاءت كتاباته عرضا رائعا لأدب لا يمكن إغفاله، بأسلوب المتمرس في حرفة الكلمة.

في عام 1991م بدأت أعراض إصابته بمرض سرطان الرئة بالظهور، وتم استئصال إحدى رئتيه إثر عملية جراحية أجريت له في جنيف، ولم يفارقه ذلك المرض حتى أودى بحياته في عام 1994م في نفس المدينة ونقل جثمانه جوا من سويسرا إلى مالطا ومنها بحرا إلى طرابلس ثم إلى بنغازي مسقط رأسه. وقد ترك لنا مؤلفات هي طريقنا للوصف والتحليل نذكر منها:

**أولاً كتبه:-**

- أسئلة، تالة، 2002 م.
- الإسلام في الأسر، دار الريس، 1993م.
- إسلام ضد الإسلام، دار الريس، 1994م.
- تحية طيبة وبعد، دار الحقيقة،1973م.
- ثلاث كلمات تقال بأمانة عن مشكلة التراث العربي، تالة،2002م.
- الحيوانات، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1984م.
- الذي يأتي ولا يأتي، تالة، 1967م.
- صوت الناس، دار الريس، 1987م.
- الرمز في القرآن، صدر عن دار نجيب الريس، الطبعة الأولى، 1967م.
- العودة المحزنة إلى البحر، 1969م.
- فرسان بلا معركة، دار الحقيقة، ، 1973م.
- القرود، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1983م.
- محنة ثقافة مزورة، دار الريس، 1995م.
- نقائض، مؤسسة الانتشار العربي، 1973م

**ثانياً رواياته :-**

- من قصص الأطفال، 1969م، وعددها سبع قصص، مهداة إلى طفله كريم.
- من مكة إلى هنا، دار الحقيقة، 1970م.
- القرود، دار الحقيقة ،1975م
- الحيوانات،الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1984م.

**ثالثا موسوعاته :-**

-أشرف على إعداد و إصدار موسوعات (عالمنا، وصحراؤنا، وأطفالنا، ووطننا وطعامنا)، بين عامي 1974- 1975م.

- أصدر موسوعتي (تاريخنا) و (بهجة المعرفة)، عام 1977م.

- أشرف على إصدار (أطلس الرحلات) عام 1979م.

- أشرف على إصدار موسوعة (الثياب المصورة) وأشرف على تنفيذ موسوعة السلاح المصورة بين عامي 1980- 1983م.

- كتب وأعد للإذاعة المرئية عامي 1980-1983م حلقات برنامجي: الشعب المسلح ولكي لا ننسى.

وعلى الرغم من اعترافه الدائم بتعثره في إيجاد منهج كتابة يرتضيه، فإن تحصيله العلمي وثقافته قد مكناه من خلق منهج فكري أقره للكتابة، وقال في وصفه يجب أن نجتهد لنجد أفضل الكلمات وأن نكتبها من خلال الحلم، حتى نصبح مثل شهرزاد لنستحوذ على قارئنا، فلولا مهارة شهرزاد في غزل كلماتها لما عاشت ألف ليلة وليلة؛ فالفشل في الوصول إلى تأصيل علاقتك بالمتلقي هو نهاية الكاتب. فلا نستسهل جمع الكلمات، ونحاول أن ننتقي أفضلها ليخدم غرضنا. فالمتلقي هو أهم عناصر العمل، مراكز الصورة تكمن في خياله، ولذلك يتعين الانتباه والحذر والدقة في تصوّر الزمن ذاته لأنه يعطي الصورة لونها النهائي، فالطائر الذي تراه في الظهيرة قد لا يكون جميلاً كالطائر الذي تراه في الشروق. والطائر الأبيض في بيئةٍ زرقاء، كالبحر مثلاً، غاية في الجمال والدقة، فذلك ما يحدث في الطبيعة ذاتها. والصقر يستحيل تصوّره على الشواطئ، ولكن عندما تستعير الكلمة إلى خطاطيف الماء وتسميها صقور الماء تكتشف فجأة نوعاً آخر من الجمال.

وضع الصور بجانب بعضها، وكتب بأكثر الطرق اختصاراً، واعتبر القارئ دائماً آلة تضارع الحياة في تعقيدها.[1] فعُدّ الصادق النيهوم أحد الكتاب الذين أثاروا الجدل والخلاف بإبداعاتهم وأرائهم

---

1- ينظر: فوارس الشوق والغربة، سالم الكبتي، من ص 49إلى ص70.

لفترةٍ طويلةٍ من الزمن، فقد كتب التيهوم بشكل جذب المثقف العربي إلى جدلية طرحه وبراعة عرضه لأفكاره التي جاءت مؤثرة لأن طرحها جاء ناضجا ومعاصرا. ولعل ذلك ما دفعني إلى دراسة لغته، محاولة أن أبين دور الدلالة الهامشية والإيحاء، في توجيه المعنى لديه.

ولكنني أود - قبل ذلك - أن أؤكد على أن هذا لا يعني أنني أتفق مع التيهوم في كل أرائه، وإن كنت مقتنعة بالكثير منها، ومنبهرة في الوقت نفسه من مقدرته الفائقة على إيصال رأيه للمتلقي سواء أكنت أتفق أم لا أتفق مع ذلك الرأي.

# الفصل الأول

# الدلالة اللغوية

# المبحث الأول

# المفهوم والنشأة

**الدلالة اللغوية والاصطلاحية: المفهوم**

وردت صيغة (دلّ) في القرآن الكريم، بمشتقاتٍ مختلفة، وتعني الإشارة إلى الشيء مجرداً أو محسوساً، ويترتب على وجودها طرفان هما: الدّال والمدلول.

وبما أن المرجعية الأولى لأي لفظ يتداول في الخطاب اللغوي هي صورته المعجمية فقد جاء في (لسان العرب): " دلل: أدلّ عليه ... ودللت بهذا الطريق: عرفته والدليلة: المحجة البيضاء"[1].

فالدلالة بمعناها اللغوي، الهداية والتوصل إلى الطريق، وذلك أخذاً من قول العرب: دلّه على الطريق أي: سدّده إليه." وفي تهذيب اللغة دللت بهذا الطريق دلالة: عرفته".[2]

والدلالة الهدي والتوجيه، وقد استعمل لفظ (الدّلالة) قديماً لإبانة الطريق وتوضيحه سواء أكان طريق محسوساً أم معقولاً.

" ومن المجاز : الدال على الخير كفاعله، و دلّه على الصراط المستقيم، وتناصرت أدلة العقل وأدلة السمع " [3].

والدّليل هو الدّال، ويستعمل لفظ (الدّال) للشخص الذي يدل، وللشيء الذي يستدل به فكلاهما دليل. والدال: اسم فاعل من المصدر (دلالة) بالكسر أو الفتح، ومن (الدّلالة) بالفتح سمي الذي يجمع بين البيّاعَيْن (دلالا)، لأنه يدل كلا من البيّاعَيْن على الأخر".[4]

ويستعمل المصدر (دلالة) بمعنى اسم الفاعل (دالّ) فقد ورد في قول الجاحظ: "وجميع أنواع الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة "[1].

---

1- لسان العرب، أبو الفضل بن منظور، دار ومكتبة الهلال، بيروت، طبعة جديدة ومحققة، المجلد الخامس، مادة ( دلّ )، ص 291.
* المحجة البيضاء : الطريق المستقيم الواضح الأمثل .
2- تاج العروس مرتضى الزبيدي ، من جواهر القاموس ،الكويت، مؤسسة فهد المرزوقي الصحفية ،طبعة تحقيق محمود الضاهي ومراجعة عبد السلام هارون،1993 م،المجلد ، ص497 و 498.
3- أساس البلاغة، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق محمد باسل عيون السود 1998،الجزء الأول، ص295.
4- لسان العرب، أبو الفضل بن منظور، ص291-292 .

وكثر استعماله بمعنى اسم المفعول (مدلول) كما نقول: (دلالة لفظ كذا هي كذا فالمقصود بلفظ (دلالة) هنا هو المعنى، فكأننا قلنا: مدلول لفظ كذا (معناه) هو كذا. وقد جاء في تاج العروس "والمصدر يستعمل بمعنى اسم الفاعل كاد أن يكون قياسا كاستعماله بمعنى اسم المفعول"[2].

والدلالة في الاصطلاح "هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول "[3]. وهو معنى عام لكل رمز إذا علم كان دالاً على شيء آخر، فالدلالة – إذا - هي كل ما يدل على شيء، ويتوصل به إلى معناه.

ويرسم ابن منظور الإطار المعجمي للفظ (دلّ) محدداً المعنى الحقيقي الذي ينحصر في دلالة الإرشاد أو العلم بالطريق، وهذا التصور للدلالة لا يختلف عن التصور الحديث مما يعني أن المصطلح العلمي يستوحي معناه من تلك الصورة المعجمية التي نجدها في أساليب الخطاب اللغوي القديم.

والألفاظ في أكثر الرموز دلالة على المعنى، لذا كان أفضل ما توصف به العلاقة بين اللفظ والمعنى هو مصطلح (الدلالة اللغوية) أي: انتقال من معنى حسي وهو الدلالة على الطريق، إلى معنى عقلي مجرد، وهو دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له والتي سماها الجرجاني (الدلالة اللفظية الوضعية)، وقال في تعريفها "هي كون اللفظ متى أطلق أو تخيل فهم منه معنى، للعلم بوضع ذلك اللفظ لهذا المعنى"[4].

وتنقسم الدلالة اللفظية الوضعية إلى: دلالة مطابقة، ودلالة تضمن، ودلالة التزام، فقد يدل اللفظ على كامل ما وضع له، فتسمى دلالة مطابقة ويُمثّل لها بدلالة لفظ البيت على البيت. كما يدل اللفظ أحياناً على جزء مما وضع له، فتسمى "دلالة تضمن" ويُمثّل لها بدلالة لفظ

---

1- البيان والتبيين، أبو عثمان الجاحظ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، الطبعة السابعة، تحقيق عبد السلام هارون، 1998م، الجزء الأول، ص 76.
2- تاج العروس، ص495.
3- التعريفات، الشريف الجرجاني، القاهرة، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر، الطبعة الأولى ، 1306م، ص111.
4- المصدر نفسه، ص112.

البيت على الحائط فالبيت يتضمن الحائط، وقد يستحضر اللفظ في الذهن شيئاً ملازماً للشيء الذي وضع له، فتسمى دلالة التزام، ويُمثل لها بدلالة لفظ السقف على الحائط، إذ السقف لاحقاً للحائط يستدعيه ذكره.

والعلم الذي يدرس العلاقة بين اللفظ والمعنى، هو ما يعرف بعلم الدلالة، "ويطلق علم الدلالة على بيان معنى الكلمة، ويطلق كذلك على دلالة الجملة، وتجاوز العلماء به الجملة إلى معنى النص كله شرحاً وتفسيراً، ويصف العلاقات المتشابهة بين التعبير والمحتوى فيما عرف بعلم الدلالة النصي أو علم دلالة النص، وهكذا توسع مجال اهتمام علم الدلالة فشمل دراسة أصغر وحدة دلالية حاملة للمعنى، ودراسة دلالة الجمل ودلالة النصوص".[1]

وله اختصاص بالدلالة اللغوية ويطلق عليه أيضا علم دراسة المعنى.

وقد وضعت له تعريفات كثيرة،فهناك من اعتبره أحد فروع علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، فيما أشار البعض إلى أنه العلم الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في اللفظ ليصبح قادراً على حمل المعنى الموضوع له، والقاسم المشترك بين هذه التعريفات (أنه العلم الذي يدرس المعنى) أي العلم الذي يدرس العلاقة بين الرمز اللغوي ومعناه، سواء أكان هذا الرمز كلمة واحدة ككلمة (عين) التي تدل على العين الباصرة، أم عين الماء التي تنبع من الأرض، أم كان مركباً كالتعبيرات الاصطلاحية مثل (ضرب به عَرْضَ الحائط ) للدلالة على ترك شيء ما وإهماله، وكالتعبير الإنجليزي ( It was raining cats and dogs) للتعبير عن شدة هطول المطر.

فهو: "فرع من علم اللغة، يدرس العلاقة بين الرمز اللغوي ومعناه، ويدرس تطور معاني الكلمات تاريخيا، وتنوع المعاني، والمجاز اللغوي، والعلاقات بين كلمات اللغة"[2].

أو هو: "العلم الذي يبحث في معاني الألفاظ وأنواعها وأصولها، والصلة بين اللفظ والمعنى والتطور الدلالي ومظاهره وأسبابه والقوانين التي يخضع لها "[1].

---

[1] ـ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، القاهرة،دار النشر للجامعات، الطبعة الأولى، 2005م، ص12.
[2]. معجم اللغة النظرية، إنكليزي - عربي، محمد الخولي، بيروت، مكتبة لبنان، د ط، 1982م، ص 14.

وهناك وجهة نظر أخرى في تعريف علم الدلالة وهي رؤية علماء المعاجم، إذ هو عندهم "ذلك الفرع من علم اللغة الذي يقوم بدراسة المعنى المعجمي"[2]. مما أدى إلى القول بأنهم يقصرون علم الدلالة على مجال واحد من مجالات اهتماماته وهو دراسة الألفاظ المفردة.

وإذا كانت المفردة المستقلة عنصراً في قائمة، فلا يمكن عد المفردة المنعزلة عن السياق - مع كونها تتألف من أصوات وبنية صرفية ومعان دلالية- نظاماً في تصريفها المعنوي لأن التغيرات التي تدخل عليها كالتغير في أصواتها، حسبها أن تنقل هذه المفردة من خانة إلى خانة أخرى في أبواب المعجم، وهذا الانتقال ينتقل معه المعنى تلقائياً، ولكن إذا وجدت هذه المفردة في سياق ما فإنها تُعد عاملاً مساعداً مهماً في بناء الجملة (التركيب) وفي نهاية المطاف في بناء الكلام كله، وبالتالي فهي عاملٌ مهم في صياغة التركيب ومن ثم المعنى.[3]

وقد نظر علماء العربية المحدثون إلى معاجم اللغة العربية نظرة تأمل وتحليل، محاولين تفسير بعض الظواهر المعجمية في ضوء النظريات اللسانية الحديثة، مما جعل بعضهم يعتبر المعجم قائمة من المفردات كتمام حسان الذي يقول: "وإذ لم يكن المعجم كما رأينا نظاماً من أنظمة اللغة، لأنه لا تتوافر له مقومات النظام، فلابد أن يكون منهج المعجم متجهاً إلى دراسة قائمة من الكلمات، تشمل على جميع ما يستعمله المجتمع اللغوي من مفردات"[4].

في حين يقول محمود عكاشة: "المعنى المعجمي للكلمة يشمل إلى جانب المعنى الاصطلاحي المعاني السياقية والمجازية، وإن ما ذهب إليه البعض من أن معنى الكلمة المفردة، لا يتسق مع ما ضم المعجم الحديث من التراكيب اللفظية الجاهزة، التي تشمل المصطلحات المفردة والمركبة والتعابير الاصطلاحية والسياقية، ويدخل فيه الأمثال

---

1- علم اللغة تحديد وتوضيح عبد العزيز مطر، دار لقرى بن الفجاءة، قطر، د ط 1985م، ص 45.
2- علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، فريد عوض حيدر، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، 2005م، القاهرة، ص 14.
3- ينظر: عناصر تحليل الدلالة في العربية، صائل رشدي شديد، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، الطبعة الأولى، 2004م، ص 19-20.
4- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الخامسة، ص 314.

والأقوال المأثورة، حيث أن المعنى المعجمي يجمع بين المعنى الذي وضع للفظ في الأصل والمعاني السياقية التي قد تقع مترادفات أوأضدادا[1].

ومع هذا فهناك شبه إجماع على تعريف علم الدلالة بأنه : ذلك العلم الذي يهتم بدراسة المعنى، وهو جزء من علم اللسانيات، باعتبار أن المعنى جزء من اللغة، وحمل المعنى أحد الوظائف الأساسية للكلمة، ولذا فإن علم الدلالة صار معنياً بدراسة معاني الكلمات ولكن هذا لا يعني أن علم الدلالة يهتم بدراسة المعنى المفرد وحسب، بل هو موجه صوب النشاط الكلامي من أحداث كلامية أو امتدادات نطقية، تكون جملا، ذات معان متجددة عن طريق معطيات الجملة ككل، وليس الكلمة المفردة، التي يبنى المتكلمون منها كلامهم.[2]

وقد رأى كثير من العلماء أن اللغة ظاهرة شديدة التعقيد، وأنه يجب أن تتعاضد الجهود والمناهج لفك شفراتها، وتحليل محتوياتها، وكشف مقاصدها، ومن ثم قسّم العلماء اللغة إلى عدة مستويات تحليلية ليتمكنوا من معرفة مضمونها. ويرجع سبب اختلاف مناهج ومستويات التحليل إلى اتجاهات العلماء ورؤيتهم التحليلية، ولعل أشهر المستويات وأيسرها، وأكثرها تداولا في الدرس اللغوي هي الدلالة الصوتية، والصرفية والنحوية والمعجمية.[3]

## نشأة الدرس اللغوي:

استقطبت اللغة اهتمام المفكرين منذ زمن طويل، فهي مدار الحياة الفكرية والاجتماعية لذا كانت الدراسات الدلالية من أول فروع علم اللغة التي عرفها الإنسان، وهو ما يؤكده التراث اللغوي الذي خلفه السابقون، وقد قام الكثيرون بدراسة اللفظ والمعنى، وطبيعة العلاقة بينهما، كما عند الهنود حيث كانت (الفيدا) منبع الدراسات اللغوية، فقد درسوا

---

1- ينظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، ص164.
2- ينظر :العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي، عبد الواحد حسن الشيخ. مصر، مكتبة الإشعاع الفنية، الطبعة الأولى، 1999م. ص7.
3- ينظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، ص12-16.

مختلف الأصناف التي تشكل عالم الموجودات، وعلى ذلك قسموا الكلمات إلى أربعة أقسام:

- قسم يدل على مدلول عام أو شامل (رَجل).
- قسم يدل على كيفية (مَاشٍ)
- قسم يدل على حدث (ضَرب)
- قسم يدل على ذات (أنس - هند).

وقد جذبت العلاقة بين اللفظ والمعنى اهتمامهم وتعددت حولها آراؤهم، فمنهم من رفض فكرة التباين بينهما، مصرًا على أن الشيء المتصور يقترن بالوحدة الكلامية الدالة عليه ومنهم من قال بأن العلاقة بينهما فطرية، وهم مؤيدو نشأة اللغة على أساس محاكاة الأصوات الموجودة في الطبيعة، وهناك من صرح بأن العلاقة بينهما طبيعية أو لزومية كعلاقة الدخان بالنار، بينما رأى البعض أن الصلة بين اللفظ والمعنى مجرد علاقة حادثة تتبع الإرادة الإلهية.

وأشار الينود أيضا إلى قضايا أخرى في دراستهم الدقيقة للغتهم السنسكريتية، كأهمية السياق في إيضاح المعنى، ووجود ظاهرتي الترادف والمشترك اللفظي، ودور المجاز في تغيير المعنى[1].

كما كان لليونان أثرهم البين في بلورة مفاهيم ليا صلة وثيقة بعلم الدلالة، وإثارة الكثير من القضايا التي ما تزال موضع دراسة، كنشأة اللغة، وطبيعة العلاقة بين اللفظ والمعنى وتصور الذهن للأشياء الخارجية، وعلاقة اللفظ بالخط، حيث قال أفلاطون بطبيعية العلاقة بين الدال والمدلول، بينما أكد أرسطو اصطلاحيتها، إضافة إلى تمييزه بين الصوت والمعنى معتبرا المعنى متطابقا مع التصور الذي يحمله العقل عنه. ونتيجة

[1] ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة السادسة، 2006م، ص 19.

لبلورة هذه المباحث اللغوية أصبح لكل رأى أنصاره، فتأسست بذلك عند اليونانيين مدارس أرست قواعد مهمة في دراسة اللغة كمدرسة الرواقيين[1] ومدرسة الإسكندرية[2].

كذلك كان للرومان جهد كبير في الدراسات اللغوية، خاصة ما يتعلق منها بالنحو، فهم أصحاب الفضل في وضع الكتب المدرسية بما تضم من نحو لاتيني والتي بقيت متداولة إلى نهاية القرن السابع عشر الميلادي، وقد بلغت العلوم اللغوية عندهم قمة النضج في العصر الوسيط مع ظهور المدرسة السكولائية[3]، التي احتدم الصراع فيها على طبيعة العلاقة بين الكلمات ومدلولاتها، وانقسم مفكرو هذه المدرسة إلى من قال بعرفية العلاقة بين الألفاظ ودلالاتها ومن قال بذاتيتها.[4]

أما البحث الدلالي عند العرب فقد تأثر بالثقافات الوافدة إليهم، مع إثرائهم البحث بموضوعات جديدة، كالمقابلة بين اللفظ والمعنى، ولعل أقدم صورها لدى صاحب الكتاب، الذي وضع الرمز الصوتي في جهة، وقابله بمدلوله الجزئي في الجهة الأخرى في واحد من المواضع التي ربطت بين الشكل والمحتوى للمفردة الواحدة.

كما قام الرازي في كتابه (الزينة) بتصنيف الرصيد اللغوي، فجعله قديما موروثا وجديدا تضاف دلالته وإن لم تكن حادثة. ونبه الفارابي إلى الحاجة الحضارية التي تستدعي نشاطا دلاليا متجددا، حين أشار إلى ضرورة تطوير مضمون الألفاظ لتعبر عن جزئيات حديثة في الفنون، والصناعة، والعلوم، وما إلى ذلك.

---

[1] - الرواقيون: هم الذين ربطوا المسائل اللغوية بالفلسفة وينتسبون إلى زينون الكيتيومي ( ت: 244 ق.م)

[2] - مدرسة الإسكندرية: فلسفة دينية يطلق عليها الأفلاطونية الحديثة، وهي نهاية الخط الممتد من أفلاطون إلى الرواقية مرورا بأرسطو.

[3] - السكولائية: فلسفة يحاول أتباعها تقديم برهان نظري للنظرة العامة الدينية للعالم بالاعتماد على فلسفة أفلاطون وأرسطو.

[4] - ينظر: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، الطبعة الأولى، 2001م. ص 14.

بالإضافة إلى ذلك قطع العرب شوطا كبيرا في دراسة السياق وعلاقته بالدلالة، فأعطى ابن خلدون في مقدمته تصورا عن الدلالة السياقية النصية، وأصر على ضرورة الدراية بالدلالة الوضعية الأصلية للفظ أولا، ومن ثم تأتي مؤثرات النص الواقعية.

"هذا وقد نشأت الدراسات الدلالية الأولى عند العرب في أحضان الدراسات القرآنية وظلت تدور في رحابها ردحا من الدهر قبل أن يتعرف علماء العربية على جهود الآخرين"[1]. فعندما جاء القرآن يتحداهم في بيانه وإعجازه، قامت الدراسات الدلالية حوله تبحث في دلالات ألفاظه، فتنوعت وتعددت، وتبع ذلك ظهور الرسائل اللغوية التي تجمع الألفاظ المختصة بموضوع واحد كالحيوان أو النبات أو المطر أو الشجر إلى أن ظهر أول معجم شامل يضم ألفاظ اللغة على يد الخليل بن أحمد وهو معجم العين، والذي حاول فيه حصر ألفاظ اللغة وجمعها بناء على منهج علمي دقيق في الحصر وترتيب الألفاظ، ثم توالت الدراسات الدلالية في جانبيها التطبيقي والنظري فكانت دراسة قضايا دلالية من اشتراك، وتضاد، وترادف، واشتقاق، وحقيقة ومجاز وعموم وخصوص، وما يتصل بالمعرب والدخيل.

لكن وجود الاهتمامات السابقة الذكر لا يعني أن علم الدلالة قديم في نشأته قدم الدراسات اللغوية، ولكن يمكن القول أن الكثير من مباحثه قد أثيرت والكثير من أفكاره كانت مجالاً للمناقشة ولكن من دون أن يتم تمييزه باعتباره علما مستقلا، فقد خصص العرب للبحوث اللغوية حيزا كبيرا في نتاجهم الذي ضم بالإضافة إلى العلوم النظرية كالفلسفة والمنطق علوما تتعلق بكل الجوانب الفكرية، فكان منها العلوم الشرعية كالفقه والحديث، والعلوم اللغوية كالنحو والصرف والبلاغة، وقد تفاعلت الدراسات اللغوية مع الدراسات الفقهية وبنى اللغويون أحكامهم على أصول دراسة القرآن والحديث والقراءات، وقالوا في أمور

---

1. ينظر: الدلالة اللفظية، محمود عكاشة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى 2002م، ص 5.

اللغة بالسماع، والقياس، والإجماع، والاصطلاح تماما كما فعل الفقهاء في معالجة أمور علوم الدين.

وقد وقع اختلاف بين علماء اللغة المحدثين في تعيين المصطلح العربي الذي يقابل مصطلح (semantics)، الذي أطلق على الدراسات الحديثة، ذات الاهتمام بجوهر الكلمات في حالاتها الإفرادية المعجمية، وحالاتها التركيبية السياقية، إذ يرى بعضهم أن علم الدلالة قد استخدم في العربية بمعان متعددة، تتسع عما يستخدم له هذا العلم عند الغرب، فاستخدم للدلالة اللفظية الوضعية، ودلالة الحركة (الإشارة باليد أو غيرها) ودلالة الرمز (العلامات والإشارات)، ودلالة الهيئة (الزي واللون والسلوك) وكذلك دلالة الخط والصورة (الأرقام الحسابية والأحرف). فعلم الدلالة عند العرب يدرس كل ما أعطى معنى من رمز صوتي، أو لفظي، أو كتابي، أو إشاري، أو جسدي، حيث أشار الجاحظ في حديثه عن أنواع الدلالات إلى عناصر من خارج اللغة مثل الحركات البدنية، والإشارات، والعقد الذي يعني الأرقام الحسابية، والأحرف الكتابية، والعالم الخارجي الذي يسهم في دلالة المتكلم.[1]

وقد آثر البعض مقابلة (semantics) بعلم المعنى، في حين فضل البعض الأخر مقابلته بدلالة لألفاظ، لأنه يحدد الدلالة كعلم خاص يرتبط بالرموز اللغوية مفردة أو مركبة غير أن المقابل الأكثر شيوعا الآن هو علم الدلالة.

إن هذا التراكم المعرفي قد فتح المنافذ أمام الدرس اللغوي، ولكن قضايا الدلالة لم تُعالج كعلم، وبمناهج البحث الحديثة، وعلى أيدي متخصصين إلا من خلال الدراسات اللغوية الحديثة، لذا تعد واحدة من أهم نتائجها، حيث ظهرت أوليات هذا العلم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عندما قام اللغوي الفرنسي (ميشال بريال M. Preal) 1897م

---

1- ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ج1 ص76 .

بتحديد موضوع الدلالة ومصطلحه، منطلقا من جهود اللغويين السابقين، الذين خلفوا موسوعة مختلفة للمفاهيم اللغوية في جميع جوانبها قائلا: "إن الدراسة التي ندعو إليها القارئ هي نوعٌ حديث للغاية بحيث لم تسم بعد. نعم، لقد اهتم معظم اللسانيين بجسم وشكل الكلمات، وما انتبهوا قط إلى القوانين التي تنظم تغير المعاني، وانتقاء العبارات الجديدة والوقوف على تاريخ ميلادها ووفاتها، وبما أن هذه الدراسة تستحق اسما خاصا بها، فإننا نطلق عليها اسم (semantique) للدلالة على علم المعاني".[1]

إلا أن بعض المؤرخين اللغويين لعلم الدلالة يرون فضل (بريال) في أنه خصص كتابا لدراسة المعنى، وهو(محاولة في علم المعاني) أما استخدام مصطلح (semantics) فقد أشار (فيرث Firth) إلى أن (بلومفيلد Ploomfield) قد استخدمه قبل ذلك في 1895م، كما ذكر أنه استخدم مصطلح (التطور الدلالي) في كتابه (اللغة) الذي نشر في 1933م.[2]

وهكذا استمر الاهتمام بالمباحث الدلالية عبر مراحل التاريخ، ولم يدخر المفكرون جهدا من أجل تقديم التفسيرات الكافية لمجمل القضايا اللغوية التي فرضت نفسها على ساحة الفكر. فسادت في عصر النهضة الكلاسيكية بأنماطها في التفكير والتأليف، وامتازت الدراسات اللغوية بالمنحى المنطقي والعقلي، وكان الشعار المرفوع مقولة: أن اللغة ما هي إلا صورة للعقل، وأن لغات البشر يسودها العقل والمنطق[3]. وفي القرن التاسع عشر الميلادي، تشعبت الدراسات اللغوية، مما لزم تخصص البحث في جانب معين من اللغة فظهرت النظريات اللسانية، وتعددت المناهج، وبرز علم الأصوات، والاشتقاق في اللغة ثم علم الأبنية والتراكيب الذي يختص بدراسة الجانب النحوي وربطه بالجانب الدلالي في بناء الجملة.

---

[1] ـ علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل، ص15.
[2] ـ ينظر: وصف اللغة العربية دلاليا، محمد محمد يونس علي، الجماهيرية، طرابلس، منشورات جامعة الفاتح، الطبعة 1993م، ص75.
[3] ـ ينظر: محاضرات في اللسانيات العامة والتاريخية، زبير دراقي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990،ص25.

ومع تطور العلم أصبح واضحاً أن حل مشكلة معاني المفردات ما هو إلا خطوة من سلسلة الخطوات التي تؤدي إلى كشف المعنى. وإذا كان هدف علم الدلالة الوصول إلى المعنى، فعليه أن يعالج مستويات أخرى من اللغة بجانب المستوى المعجمي، ومن أهم هذه المستويات الجمل والعبارات والتراكيب. ومسوغ ذلك أنه هناك معان مرتبطة بالتراكيب المختلفة برغم تشابه مفرداتها، وأن التراكيب عرضة للإشكالات نفسها التي تتعرض لها الكلمات المفردة.

# المبحث الثاني

# في الدلالة المركزية والهامشية

تقوم اللغة بدور كبير ومهم في حياة المجتمع الإنساني، وتنظيم الصلة بين أفراده، فهي أداة لتيسير مطالب الحياة الاجتماعية التي تتطلب قدراً كبيراً من التعاون، وتبادل المنافع، مما يقتضي الاتصال المباشر والدائم. ولأن اللغة بمفهومها الشامل هي الوسيلة الوحيدة لتيسير ذلك الاتصال، فإن علاقة الإنسان بها قديمة قدم وجوده، والناس في مجتمع من المجتمعات لا يكادون يعنون بتلك الأصوات اللغوية إلا بمقدار ما تحققه لهم من أغراض الاتصال بهدف التعاون.

فاللغة أداة الفكر ورمزه، أو هي أداة التحصيل المعرفي الإنساني، وهي تلعب بذلك دور الوسيط في تكوين الأفكار التي تجرد الواقع على شكل رموز تنظم علاقة الإنسان بالمفاهيم المعرفية المختلفة. فتقضي به هذه الرموز المكونة من الأحرف إلى أداة أمثل لمهمة الاتصال، من حيث استقبال المعلومات وبثها. وبهذا المعنى تعد اللغة ومضمون الوعي الإنساني وجهان لعملة واحدة، فلا وجود للغة خارج الفكر، كما أنه لا وجود للفكر إلا في إطار اللغة. وليست مقدرة الفرد على التواصل مع الحياة والتفاعل مع الآخرين إلا بحجم حصيلته اللغوية، وبالتالي فإن المعرفة اللغوية وسيلة أساسية في عملية التكيف مع الواقع. بالإضافة إلى كونها أساس التطور الإنساني.

ينشأ الناس في بيئات مختلفة، ويتأثرون في حياتهم بتجارب متباينة، مما يترك أثراً كبيراً على فيمهم للألفاظ .إلا أنهم يتنازلون طوعاً عن تلك الفروق التي تلون دلالات الألفاظ بلون خاص في ذهن كل منهم، ويقنعون في تلك الحياة الاجتماعية بقدر مشترك من الدلالة، يصل بهم إلى نوع من الفهم التقريبي الذي يكفل لهم سهولة ذلك الاتصال.[1] وقد سمى (أولمان) العلاقة المتبادلة بين اللفظ والمدلول، بالمعنى البسيط ووصفها بأنها علاقة مباشرة واضحة في أبسط المواقف، أي حين تكون بين لفظ واحد ومدلول واحد[2].

---

[1] - ينظر: دلالة الألفاظ إبراهيم أنيس،ص106.

[2] - ينظر: دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، للكتاب (كلماتنا ونحن) لستيفن أولمان، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الثانية عشر،1997م، ص89.

هذا القدر المشترك من الدلالة، هو الذي يقوم اللغويون بتقييده في معاجمهم، ويسمونه بالدلالة المعجمية للفظ[1]. والتي تكون واضحة في أذهان أبناء البيئة اللغوية، فمتى أطلق ذلك اللفظ فهم منه الدلالة المتعارف عليها، إذ إن وظيفة المعاجم هي توضيح تلك الدلالات الأساسية، فلكل كلمة من كلمات اللغة دلالة معجمية متفق عليها، تستقل عما يمكن أن توحي به أصوات هذه الكلمة من دلالات زائدة، على الدلالة الأساسية، كدلالة لفظ (البحر) مثلا على تلك المساحة من الماء المترامية الأطراف التي تحدها شواطئ رملية تفصلها عن اليابس، أو دلالة لفظ (الموت) على انتهاء حياة الكائن.

وبما أن الرجوع للمعجم هو الوسيلة الوحيدة - غالبا - للبحث عن معنى الكلمة، ومع ما يقوله الباحثون من أن معنى الكلمة يظل ضبابيا وشبه غامض خارج سياق الكلام، لذلك يدون في المعاجم عادة عدد من المعاني المحتملة للكلمة الواحدة.

والدلالة كما سبق وذكرنا هي علاقة الدال بالمدلول، ونستطيع تبعا لذلك أن نتصور أنواع للدلالة حسب الاختلافات الممكنة في هذه العلاقة، ولكن ما نتحدث عنه الآن هي الدلالة الوضعية، وهي الدلالة المتفق عليها بين الناس، والتي تعارفوا عليها فيما بينهم بمعنى جعل شيء إزاء شيء آخر، بحيث إذا فهم الأول فهم الثاني، وتتحدد هذه الدلالة باللفظ والشيء، والصورة الذهنية، فكلمة "شجر" مثلا تتكون لفظا من ثلاثة حروف هي الشين والجيم والراء، يختص علم الأصوات بتحديد مخارجها، أما "الشجر" باعتباره شيئا فهو أحد أشكال الحياة النباتية؛ نبات خشبي ينمو بشكل عام على اليابسة، ويحتاج إلى تربة وماء، أما الصورة الذهنية فهي الشكل الذي يتبادر إلى أذهاننا عند سماعنا كلمة "شجر".

يتعلم المرء لغة أبويه، ويربط بين ألفاظ قومه ودلالاتها ربطا وثيقا منذ طفولته، فتختزن في ذهنه معاني كثيرة من هذه الكلمات والتعبيرات اللغوية، وهي مجموعة من الألفاظ ذات الدلالات الخاصة، تتميز بالسهولة وعدم التعقيد. ثم يقضي زمنا ليس بالقليل في

---

1- ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة، 1980م، ص 106.

اكتساب القدرة اللغوية، حتى يسيطر على قدر كبير من الألفاظ ودلالاتها، وتتألف في ذهنه تلك الذخيرة اللغوية، وتنتظم تلك الألفاظ مع دلالاتها في شيء من الترتيب، بحيث تكون دلالة كل كلمة محددة متعارف عليها.

فاللغة عند علماء اللغة تنقسم إلى مستويين: اللغة وهي نظام مجرد، والكلام وهو تحقيق للغة. والكلام قائم على النظام السيميائي، أي على وجود علامات، وهذه العلامات في بمثابة رموز تتعارف عليها أمة اللسان الواحد، تعد كمفتاح للتواصل بين أفراد هذه الأمة فحين يسمح هذا النظام اللغوي العام (اللغة) بالتواصل والتفاهم بين الناس، فإنه يتحقق فعليا في المستوى الكلامي اللفظي.

وبالنظر إلى العلاقة الوثيقة التي رسختها كثرة التداول والاستعمال بين الألفاظ ومدلولاتها، فإن العلامات اللغوية بطبيعتها المركبة من دوال ومدلولات، تنوب عن الأشياء نفسها وتقوم مقامها. وبالنتيجة فإن تلك المشاعر تتوجه إلى الكلمات المعبرة عن الأشياء بقدر قريب من توجهها إلى الأشياء نفسها. وبذلك يتجاوز مستوى الاتصال بين الناس الدلالات الجاهزة المألوفة، من خلال الإيحاء المنوط بالحدس، وتجارب الإنسان الخاصة، فتكتسب الألفاظ معانيّ إضافية أخرى، و تتجاوز تلك الدلالات مدلولاتها المحددة مبدئياً.

"وكلما زاد نمو (الانسان) العقلي واللغوي تبدلت تلك المعاني في نظره وفقا للخبرات الجديدة التي يتعلمها، وتبعا للظروف التي يمر بها، والمقصود من هذا التبدل انطباع تلك الكلمات بطابع الذاتية، بحيث تصبح الكلمة ملتصقة ومقرونة بتجاربه وميوله ونزعاته وانفعالاته الخاصة، فيضاف إليها علاوة على المعنى الذي يشترك في إدراكه عامة الناس كثير من المشاعر والتداعيات بسبب ذلك الالتصاق والاقتران"[1]، وهذا معناه نمو دلالات الألفاظ مع الإنسان، إلى أن يصبح للفظ دلالتان: دلالة عامة يشترك في إدراكها

---

1- وصف اللغة العربية دلاليا، محمد محمد يونس علي، ص153.

عامة من ينتمون إلى البيئة اللغوية وهي (الدلالة المركزية)، ودلالة خاصة تتكون داخل الفرد نتيجة تجاربه الشخصية تجاه اللفظ وهي (الدلالة الهامشية) على أن الدلالة الهامشية للفظ تتكون في داخل الأفراد حسب تجاربهم مع الألفاظ، فيحمل لفظ البحر مثلا، علاوة على معناه العام، معاني أخرى هامشية تختلف من فرد إلى آخر في البيئة اللغوية الواحدة فقد يعني الخوف أو المجهول لمن لهم تجارب مخيفة مع البحر ويعني الجود والكرم لمن ينتفع منه كالصياد، ويعني لآخرين سعة المعرفة، فكثيرا ما يقال(فلان بحر من العلوم) وكذلك الحال مع لفظ الموت، فبالإضافة إلى معناه العام يصبغ عليه البعض ظلالا من المعاني الإضافية فيقال موت الأمل، وموت الأحلام وموت الكاتب، إذا توقف عن الكتابة وهكذا. فالدلالة الهامشية "هي تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم وأمزجتهم، وتركيب أجسامهم، وما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم"[1]. وهي أيضا الاختلافات الناشئة عما تفيض به الكلمة من إيحاءات عقلية أو نفسية، وما تستثيره في النفس من ذكريات ومشاعر وهي بذلك تتصل اتصالا وثيقا بالعاطفة.

ولعل أنيس هو أول من استخدم مصطلحي المركزية والهامشية، وقد شبه الدلالة الهامشية بتلك الدوائر التي تحدث عقب إلقاء حجر في الماء، فما يتكون منها أولا يعد بمثابة الدلالة المركزية للألفاظ، يقع فيهم بعض الناس منها في نقطة المركز، وبعضهم في جوانب الدائرة، أو على حدود محيطها، ثم تتسع تلك الدوائر، وتصبح في أذهان القلة من الناس وقد تضمنت ظلالا من المعاني لا يشركهم فيها غيرهم.

أما أحمد مختار عمر فقد سمى الدلالة المركزية، المعنى الأساس (الأولى) ويعرفه على أنه العامل الرئيس للاتصال اللغوي، والممثل الحقيقي للوظيفة الأساسية للغة وهي التفاهم ونقل الأفكار.

---

1. دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص107.

وسمّى الدلالة الهامشية بالمعنى الإضافي (التضمني) وهو المعنى الذي يملكه اللفظ عن طريق ما يشير إليه إلى جانب معناه الخاص، وهو معنى زائد على المعنى الأساس وليس له صفة الثبوت والشمول، وإنما يتغير بتغير الثقافة أو الزمن أو الخبرة.

وقد مثل للاثنين بكلمة (يهودي) فمعناها الأساس هو الشخص الذي ينتمي إلى الديانة اليهودية، إلاّ أن هذه الكلمة تمتلك معاني إضافية في أذهان المسلمين على الأقل، تتمثل في الطمع والبخل والمكر والخديعة. وهو لا يعتبر اتفاق المتكلمين في المعنى الإضافي شرطا، لأنه معنى مفتوح وغير نهائي[1].

وهكذا اختلف الباحثون وتفاوتوا في تسمية المعاني المحتملة للكلمة، فعبروا عن مفهوم الدلالة المركزية بالمعنى (الأولي، والمركزي، والمفهومي، والإدراكي، والتصوري) وهو المعنى المتفق عليه أصلا لدى الناطقين بلغةٍ واحدة، سواء أكانت لغة منشأ أم لغة ثانية، وهو كذلك يعد أصل الاتصال، وقوامه، لأنه المعنى الأول الذي يكتسبه اللفظ في الاستعمال، وهو مؤلف من معان وأفكار متعلقة بعلامة معينة، ومخزونة في الذاكرة كجزء من النظام اللغوي. هذه الأفكار في معان ممكنة متى ما وجدت السياقات التي تستدعيها، وهو المعنى الذي تحتفظ به المعاجم على أن يكون في أبسط سياقاته. فحين نقول على سبيل المثال (زيد، أسد، جدار، بحر) فكل كلمة من هذه الكلمات ينظر إليها بحسب ما تحمله من معنى أولي، متوفر لدى المعاجم، ولدى أبسط من يتكلم هذه اللغة.

أما الدلالة الهامشية فقد أطلقوا عليها المعنى (العرضي، والثانوي، والتضمني) وتفهم دلالته من تسميته، وكأنه معنى آخر يضاف إلى المعنى الأساسي السابق الذكر، بل هو كذلك فعلاً. وهو مفهوم مستمد من خبرات وتجارب خاصة بفرد معين لا يشاركه فيها قطاع كبير من الناس، إذ يرتبط هذا المفهوم بعلامة معينة في سياق محدد، له مكان معين وزمان معين كذلك، ومرتبط بظروفٍ محددة، فمثلاً كلمة (نخلة) تستدعي لشخص معين

---

1- ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص37.

قد غرس نخلة في مكان معين وسقاها ورعاها، خبرات وأفكار قلما يشاركه فيها شخص ليس له علاقة بالنخيل ولا معرفة بزراعته ورعايته.

وإن كان يشترط في المعنى الأساسي أن يعرفه جميع الناطقون باللغة، فإن ذلك لا يشترط في المعنى الإضافي، لأن ظروفه غير مشتركة بين الناس والمواقف التي تحدد المعنى الإضافي للكلمة مختلفة، وليست واحدة.
لذا من المقبول أن لا يكون المعنى الإضافي مشتركا بين الناطقين، وأن يكون مفتوحا على الاستعمال، فضلا عن إمكان تغيره، بخلاف المعنى الأساسي المتفق عليه، والذي يحافظ على ثباته، وبناءً على ذلك توكل إلى الدلالة المركزية عادة مهمة تحقيق وظيفة الإبلاغ أما الدلالة الهامشية فهي المناسبة والصالحة لتحقيق وظيفة التأثير.

هذا ويميز علماء اللغة الغربيين بين مفهومين هما: الإحالة والتضمن. ويقصد بالتضمن المعنى المرتبط بالكلمة أو العبارة بمعزل عن معناها الأساس كأن تتضمن كلمة (أم) الطمأنينة والدفء، بالإضافة إلى معناها الأساس وهو الوالدة.
ويعرف (لاينز) التضمن بقوله: تضمن الكلمة هو فكرة المكون العاطفي أو الوجداني إضافة إلى المعنى المركزي. ويذهب (مارتينيه) إلى أن: التضمنات هي كل ما في استعمال كلمة ما، مما لا تشمله تجربة جميع مستعملي تلك الكلمة في تلك اللغة، وذكر (هنري لوفيفر) بأن كلمة تضمن تدل على أصداء العلامات الانفعالية والعقلية أي: عناصر انفعالية (إيحاءات) ألهمتها الألفاظ المستعملة (قيم إضافية) متصلة بالعلامات ملازمة لها بدون تغييرها.[1]

1. ينظر: اللسان والمجتمع، هنري لوفيفر، ترجمة مصطفى صالح، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1983م، ص 65.

كما أشار كوهن (COHEN) إلى أن اللغويين يتفقون على إسناد وظيفتين للغة تتفقان مع القسمين الأساسين للحياة النفسية هي: الحياة العقلية والحياة العاطفية، وأن البلاغة القديمة كانت تميز بين وظيفتين أساسيتين هما: التعلم والتأثير.

لقد أضحى من المسلم به في الدراسات اللغوية وغيرها، أن تكون للكلمة إيحاءات عاطفية، فجميع الدراسات التي تربطها صلة بالتقسيم الثنائي بين ملكتي العقل والعاطفة تقر بوجود ظلال عاطفية تحوم حول الكلمات.

وأما كيف تكتسب الكلمة أو العبارة دلالتها الهامشية، فإن ذلك يحدث بسبب مرورها بما يعرف بمرحلتي الشحن والاقتران:

* مرحلة الشحن، هي التي تزود فيها الكلمة أو العبارة بشحنةٍ عاطفية زائدة، إما بسبب تداولها في المواقف اليومية المختلفة وكثرة إسنادها إلى ذلك المعنى العاطفي مثل كلمة (طفولة) التي شحنت بقدر كبير من الدلالة الهامشية الزائدة على معناها المركزي حيث هو اسم لمرحلة عمرية معينة، فأصبحت تحمل معنى البراءة بسبب استعمالها شبه الدائم مع هذه الكلمة، فيقال عادة (طفل بريء) و (الطفولة البريئة) و(براءة الأطفال). أو بسبب شدة التصاق اللفظ بمدلوله إلى درجة أن يصبح ذكر اللفظ لا يستدعي المدلول فحسب، بل يجر معه الإيحاءات المرتبطة به أيضا. ويمكن أن نمثل لذلك بكلمة (الغراب) التي ارتبطت بدلالتها الهامشية عند البعض على الفراق، فإن مشاهدة الغراب لا تستدعي الشعور بالفراق فحسب، بل يتوقع وقوع ذلك الفراق عُقيب رؤية الغراب مباشرة.

* أما مرحلة الاقتران، فهي مترتبة على مرحلة الشحن، إذ كلما زاد شحن الكلمة بإيحاءات هامشية، قوي عامل الارتباط أو الاقتران بين الكلمة ودلالتها، التي لم تكن لها في الأساس، إلى حدٍ يصبح فيه ذكر هذه الكلمة يستلزم تذكر دلالتها الهامشية، ويكون

مقدار التذكر حسب شدة ذلك الاقتران. فعند ذكر كلمة (الأم) مثلاً سرعان ما تتدفق إلى الأذهان معاني الطيبة، والحنان، والتضحية، والحب الكبير.

ويشكل العامل التاريخي، الذي يلقي بظلاله على الكلمة أو العبارة، عاملاً آخر لا يمكن إغفاله إذ يكسبها دلالة هامشية، يمكن أن تسمى دلالة هامشية تاريخية، وغالباً ما يظهر تأثير هذا العامل في أسماء الأعلام وأسماء المعارك والأماكن، غير أنه من الملاحظ أن أكثر الكلمات التي لها صدى انفعالي تاريخي هي الكلمات التي تشير إلى أسماء الأعلام أو تضاف إليها، كتفاحة آدم، وعصا موسى، وناقة صالح، وقميص يوسف، ومواعيد عرقوب، وغيرها.

# المبحث الثالث

# نوعا الدلالة الهامشية

لما كانت الدلالة الهامشية مرتبطة بتجارب الأفراد وخبراتهم، فربما كان بعض تلك التجارب والخبرات مشتركاً بين عدد كبير من أفراد المجتمع، في الوقت الذي يختلف فيه بعضها من فرد إلى آخر. ولقد أضحى من المناسب أن نرسم الحدوداً بين نوعين من الدلالة الهامشية تتناسب مع هذه الاعتبارات، مستحضرين قول السعران: "إن لكل كلمة من الكلمات مضموناً منطقياً ومضموناً أو ارتباطاً نفسياً، فالمضمون المنطقي هو المعنى الذي ينص عليه القاموس، ولكن المضمون أو الارتباط النفسي يختلف من متكلم إلى آخر اختلافاً كبيراً، ولا يمنع هذا من أن يشترك جمهور المتكلمين باللغة في طائفة كبيرة من إيحاءاته وما يرتبط به من ظلال المعاني".[1]

فهناك ـ إذاً ـ دلالة هامشية فردية وهي الإيحاءات التي تحملها الكلمة وظلال المعاني التي ترتبط بها والتي تختلف من فرد إلى آخر من متكلمي اللغة.

ودلالة هامشية اجتماعية عامة وهي ما يشترك فيه متكلمو اللغة الواحدة من إيحاءات الارتباط النفسي للكلمة وما يرتبط بها من ظلال المعاني، بحيث تكون الكلمة ذات معنى أساس، لكن الاستخدام والظروف السياسية أو الاقتصادية أو التاريخية أو الثقافية تضيف إليه معنى آخر، زائد على المعنى الأساسي دون أن يلغي الأول، فالذئب على سبيل المثال حيوان غير أليف، يمشي على أربعة أرجل، يفترس المواشي الصغيرة والحديثة الولادة عادة، له حيل خاصة يستعملها في اصطياد فريسته، ولكن حين يقال: فلان ذئب، فذلك يدل على أنه ماكر مخادع محتال لا يغفل.

وكلمة (امرأة) تعني إنسان، أنثى، بالغ. ولكننا حين يقال في مجتمع ما، فلان امرأة فذلك يعني أن صفاته مثل صفات المرأة من حيث عدم قدرته على اتخاذ القرار وغير ذلك مما هو متعارف عليه. وعلى ذلك فالدلالة قد تكون فردية أو اجتماعية، فما مفهوم الإثنتين؟

---

[1] ـ علم اللغة، محمود السعران، دار المعارف المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1962م، ص67.

**أولا: الدلالة الهامشية الفردية -**

وهي إيحاءات الكلمة وما تبعثه في الفرد الذي يستخدمها من مشاعر وانفعالات، وما تستدعيه من معان زائدة، سواء أكان هذا المستخدم مرسلا أم متلقيا. وترتبط بالتجارب الشخصية للمتكلم الفرد، وبسبب إغراقها في الذاتية، فإن إفادتها في الدراسات النفسية أكثر منها في الدراسات اللغوية، فبقدر ما تعيبها الذاتية من وجهة النظر اللغوية فإنها تعطيها جدوة في مثل تلك الدراسات. فقد أفادت الدراسات النفسية أن الأشياء المهمة في حياة الفرد تشكل مركزا لإحساسات قوية، وأن هناك تزايدا في العواطف نحو موضوعات معينة، لأن حياة الإنسان وسلوكه ممزوجان بشبكة من العواطف متجهة إلى نفسه وإلى الأشخاص والأشياء والأماكن المألوفة، وإلى الأشياء والأفكار التي سمع أو قرأ عنها.

ففي التحليل النفسي عند فرويد تقوم بعض طرق البحث على دراسة الكلمات التي يستعملها المريض، وطريقة استعماله لها في تسمية الأشياء، ودرجة تركيزه على معاني كل منها، حيث يستدل المحلل من ذلك على درجة أهمية تلك الأشياء بالنسبة للمريض ومعرفة مجموع الأشياء التي تؤثر في حياته تقود إلى اكتشاف الخريطة النفسية للمريض والوصول إلى مكان الخلل، والآثار التي تركتها بعض التجارب في نفسه.[1]

وهذه الإفادة هي تفسير لاختلاف الأفراد في تأويل كلمات اللغة، وتقدير إيحاءاتها وبالتالي نستطيع القول أن سبب اختلافنا في تقييم النص الأدبي وتذوقنا له، هو تلك الدلالات الهامشية الفردية التي تبعثها مكونات النص في أذهاننا فنحكم عليه من خلالها كما أن الدلالات الهامشية الفردية هي التي توجه الكاتب في اختيار ألفاظه، فيوظفها في خدمة نصه تاركا تحديد المعاني في أغلب الأحيان للمتلقي.

والدلالة الهامشية الفردية قد تكون صوتية، تستمد وجودها مما توحي به الأصوات من ظلالات خاصة ينفرد بها متكلم واحد، أو ربما عدد قليل من المتكلمين، وترتبط في هذه

---

[1]- ينظر: اللغة العربية وتحديات العصر الحديث، بسام بركة، مجلة حوار العرب، العدد 5، أبريل 2005م، ص24.

الحالة بثلاثة مصادر هي: ما يعرف بظاهرة (محاكاة الأصوات)، وما يستوحى من المحسنات البديعية كالجناس وغيره، ومن جرس الأصوات وموسيقا الألفاظ.

نذكر من محاكاة الأصوات في العربية مثلا المصادر التي تجيء على صيغة (الفعلان) وهي للاضطراب والحركة مثل الغليان والغثيان، والمصادر الرباعية المضعفة التي تأتي للتكرير مثل الزعزعة، والقلقلة، وغيرها، وكذلك ما تشير إليه بعض الكلمات من إشارات لمحاكاة الأصوات الطبيعية، كحرير الماء، وصهيل الفرس، وحفيف الشجر ...الخ.

ومن علماء اللغة من يرى وجود هذه العلاقة بين الأصوات ومعانيها، ومنهم من لا يرى ذلك. يقول حجازي: " إن الرموز اللغوية لا تحمل قيمة ذاتية (طبيعية) تربطها بمدلولها في الواقع الخارجي (...) ومعنى هذا أن قيمة هذه الرموز اللغوية تقوم على العرف أي: تقوم على ذلك الاتفاق الكائن بين الأطراف التي تستخدمها في التعامل، ولذا فالرموز اللغوية وسائل اتصال في إطار الجماعة اللغوية الواحدة"[1].

ويذهب دي سوسير إلى أن العلاقة بين الصوت والمعنى اعتباطية أي: "إن الرابط الذي يجمع بين الدال والمدلول رابط اعتباطي "[2]

وبالتمعن في مفردات اللغات عموما توجد ألفاظا كثيرة ترتبط أصواتها بمعانيها، وهذا يعني أن العلاقة بين اللفظ الصوتي والمعنى، ليست معدومة أو ملغاة، والأمثلة على ذلك كثيرة مبثوثة في الكتب.

أما ما يستوحى من المحسنات البديعية مثل الجناس، وهو اتفاق حروف الألفاظ مع اختلاف معانيها، فهو بيّنٌ، وقد يكون الجناس بين كلمتين من نوع واحد كاسمين أو فعلين أو حرفين، أو بين كلمتين مختلفتين .

---

1- مدخل إلى علم اللغة، فهمي حجازي، مكتبة نهضة الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، 1995م، ص11.
2- دروس في الألسنية، دي سوسير، الدار العربية للكتاب، بيروت، ترجمة صالح القرمادي، الطبعة الأولى 1985م، ص111-112.

فبين فعلين مثل في العربية: (بنى محمد دارا) و(بنى محمد بأهله)،فالأولى بمعنى إقامة الدار، والثانية بمعنى الزواج، وحرفين مثل (قد يجود والكريم وقد يعثر الجواد) فقد الأولى للتكثير والثانية للتقليل، وقد يكون بين حرف واسم نحو: (رُبَّ رجل شرب رُبَّ رجل آخر)[1]. فـــربَّ الأولى حرف جر، والثانية اسم، وبين فعل وحرف نحو: (علا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الأنام)، وبين فعل واسم كما في قول أبي تمام:

ما ماتَ مَنْ كرُمَ الزّمانُ فإنه *** بحيا لذى يحيَى بن عَبْدِالله

ومن ذلك أيضا ما يعرف بجناس الاشتقاق، وهو أن يجمع الألفاظ المتجانسة اشتقاق في الأصل، كقوله تعالى: (لا أعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ)[2] فاعبد وتعبدون وعابدون قد جمعها كلها اشتقاق واحد.

ومن ذلك أيضا قول البحتري:

نسيمُ الرَوْضِ في ريحِ شَمالٍ *** وصَوْبُ المُزْنِ في رأْيِ شَمولِ

فشمال وشمول جمعها اشتقاق في الأصل.

وقول جرير:

وما زال معقولاً عقالٌ عن النّدَى *** ومازال محبوساً عن الخَيرِ حابسٌ

اتحد اللفظ والمعنى في عقال ومعقول، وفي حابس ومحبوس، فاحد اللفظين مشتق من الآخر، ولذلك سمّى بعض النحاة هذا النوع الملحق بالجناس وليس الجناس المشتق، لأن الجناس اتحاد في اللفظ واختلاف في المعنى[3].

---

1- الرّب هو شراب مركز داكن اللون سائل إلى اللون الأحمر و هو حلو المذاق.

2- الكافرون: الآيات 2-3.

3- ينظر العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي، عبد الواحد حسن الشيخ، مكتبة الإشعاع الفنية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1999م،ص144-146.

أمّا فيما يخص جرس الأصوات وموسيقا الألفاظ، فمفهومه أن اختيار صوت دون آخر ليس مصادفة أو تطورا تاريخيا أو قلبا مكانيا أو غير ذلك، وإنما هو قصد في الوضع لتحقيق دقة في التعبير.

فعلى سبيل المثال من الكلمات التي تحمل أصواتها معانيها كلمة (دمْدم) التي هي مكونة من مقطعين تكرر فيها المقطع الأول (دم – دم) ومن جماليات أصواتها أنها أعادت الصوتين ولكن بطريقتين مختلفتين، ففي المرة الأولى كان الصوتان في مقطع واحد، وفي المرة الثانية كان كل على حده، ألا يعطي هذا التعاقب بين صوتي الدال والميم للمفردة نغمة خاصة تحمل معناها؟ فهذه الإعادة للصوتين، وهذه القوة في نطق أصوات المفردة، حملتها معنى الغضب الذي يؤدي إلى التجزئة [1].

وأكثر ما نرى ذلك الجرس في القرآن الكريم، تلك الجمالية التي تكسب المعنى دلالة متمايزة، حيث يأتي كل لفظ متناسبا مع صورته الذهنية من جهة، ومع دلالته السمعية من جهة أخرى، هذه الدلالة تتسق مع المعنى في ذهن المتلقي، فتعمل على إثارة الانفعال المترتب على مناغ الألفاظ المختارة في مواقعها، فيما تشيعه من تأثير نفسي معين سلبا أو إيجابا. فنلاحظ في بيانه المجيد الفروق بين مجموعة من الأصوات في إيقاعها حين تكون كلمة ما في النص، وبين مجموع نفس الأصوات حين تكون كلمة أخرى ونتعرف على ما يوحيه كل لفظ من صورة سمعية صارخة، تختلف عن سواها قوة أو ضعفا، رقة أو خشونة، حتى تدرك المعنى المحدد، ويستعان على هذا الفهم لا بموسيقا اللفظ منفردا أو بتناغم الكلمة وحدها، بل بدلالة الجملة أو العبارة منضمة إليه.

ويمكننا أن نستشهد بالآية الكريمة من سورة مريم، وهي قوله تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا، تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا)[2].

---

1 - ينظر: عناصر تحليل الدلالة في العربية، صائل رشدي شديد، ص72-73.

2. مريم الآيات 88- 90.

للنظر فيما حملته الدلالات، وبخاصة المشددة منها من إيحاء بالاضطراب في النفس وشعور بما تشير إليه الآية من انشقاق الأرض، فالتناسب بين المعنى والإيقاع الصوتي أمر في غاية الأهمية في تحقيق الدلالة الكلية للنظم، وفي إكساب المعنى تأثيرا خاصا على المتلقي.

إيقاع اللفظ المفرد، وتناغم مقاطع الكلمة، عبارة عن جرس موسيقي للصوت فيما يحدثه من وقع في الأذن، أو أثر عند المتلقي، يساعد على تنبيه الأحاسيس في النفس الإنسانية ليذا كان ما أورده القرآن في هذا السياق متجاوبا مع معطيات الدلالة الصوتية، التي تستمد من طبيعة الأصوات نغمتها وجرسها.

ومثل ذلك كلمة (اثاقلتم) التي تحمل معنى الثقل في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ) [1] يقول قطب: تسمع الأذن كلمة (اثاقلتم) فيتصور الخيال ذلك الجسم المتثاقل، يرفعه الرافعون في جهد، فيسقط من أيديهم في ثقل. إن في هذه الكلمة طنا على الأقل من الأثقال، ولو أنك قلت: تثاقلتم، لخف الجرس ولضاع الأثر المنشود، ولتوارت الصورة المطلوبة التي رسمها هذا اللفظ، واستقل برسمها.

وكلمة (يصطرخون) في قوله تعالى: ( وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ، وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا)[2] حين تسمعها يخيل إليك جرسها الغليظ غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان، المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة، كما تلقي إليك ظل الإهمال لهذا الإصطراخ الذي لا يجد من يهتم به أو يلبيه.

ومن الأوصاف التي اشتقها القرآن ليوم القيامة: " الصاخة" و" الطامة". يقول قطب في هذه الألفاظ : "والصاخة لفظة تكاد تخرق صماخ الأذن في ثقلها وعنف جرسها، وشقه

---

[1] - التوبة:الآية 38.
[2] - فاطر:الآية 36.

للهواء شقا، حتى يصل إلى الأذن صاخا مُلِحّا. والطامة لفظة ذات دوي وطنين، تخيل إليك بجرسها المدوي أنها تطم وتعم، كالطوفان يغمر كل شيء ويطويه"[1].

وحين يجمع لفظ واحد كل هذه الصور لا نملك إلا أن نقول أنه فن من التناسق البديع "فكلما زادت العبارة شبها بالمعنى كانت أدل عليه وأشيد بالغرض فيه"[2].

لقد أحس الناس منذ زمن بعيد بأهمية الدلالات الهامشية الفردية المرتبطة بالكلمة في التأثير على الآخرين، وانقيادهم بفعل هذا التأثير إلى ما يدعو إليه المتكلم ويرمي إلى تحقيقه، ومدى الارتباط الوثيق بين كلمات اللغة ومشاعر المتكلمين، وما تتركه تلك الكلمات في النفوس من استحسان واستقباح. وبهذا كان الأدب بنوعيه الشعري والنثري تربة خصبة لاستغلال الدلالات الهامشية بغية تحقيق الغرض في النص الأدبي.

إن الدور الذي تؤديه الدلالات الهامشية في الكشف عن أسرار النفس ودواقعها كان مكسبا كبيرا لمدارس التحليل النفسي في النفاذ إلى شخصية المتكلم، واستبطان نوازعها وهو ما تفعله وسائل الإعلام المقروءة، والمسموعة، والمرئية في مخاطبة عقول المتلقين حيث تعتمد أسلوب اختيار الكلمات التي لها صدى في النفوس، بغرض التأثير على المتلقين وجرهم إلى الأفكار التي تقدمها، فتجد هذه الوسائل في الدلالات الهامشية للتعبيرات اللغوية الأداة المناسبة لتحقيق أغراضها، بل لعلها أنجح الطرق الكفيلة بالنفاذ إلى اللاشعور، مما يدعم فرصتها في النجاح ويزيد من قوتها في التأثير. فإيحاءات الكلمة تدفعنا من حيث نشعر أو لا نشعر إلى القيام بعمل ما، والإعراض عن عمل آخر، وتؤثر تأثيرا مباشرا في اتخاذ بعض قراراتنا في كثير من مسائل الحياة. ومن ذلك يذكر أن محقق مقدمة المرزوقي رأى أن يبدل كلمة (فليته) بكلمة (قلبته) في شرحه على ديوان الحماسة لأبي تمام لأن (فليته) أوحت له بمعنى البحث عن القمل في الرأس، وهو ما أدى

---

1 - ينظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الشرعية الخامسة عشر، 2001م، ص91-92.

2- الخصائص، ابن جني، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، 2001م، ص 154.

به إلى الحكم بأنها كلمة مرذولة ينبو الأدباء عن استعارتها، ولم يملك إلا أن يستبدلها بكلمة (قلبته).[1]

## ثانياً: الدلالة الهامشية الاجتماعية:

هي الأكثر أهمية في المجال اللغوي لتوسع استخدامها، وتأثيرها في عددٍ أكبر من الناس وكونها مهيأة للاستخدام كدلالة مركزية. ويمكن أن يعرّف هذا النوع من الدلالة بأنه ما اكتسبته الكلمة أو العبارة من مشاعر، وعواطف، وانفعالات، ودلالات حضارية وفكرية من قبل عدد كبير من أفراد المجتمع، طيلة عمرها الاجتماعي الذي يحسب من الفترة التي عرفت فيها تلك الكلمة أو العبارة من قبل أفراد المجتمع اللغوي إلى استخدامها في سياقاتٍ محددة.

فكلما مرت تلك الكلمة بمرحلةٍ اجتماعية معينة، وتأثرت بها انضم ذلك لتاريخها إلى أن تتراكم عليها مجموعة من الدلالات، وتصبح غنية بالإيحاء، فيتغير معنى الكلمة على مرّ الزمن إعلاءً أو انحطاطاً أو توسيعاً أو انحساراً، أو نحو ذلك، وهو ما يعرف بعلم الدلالة التاريخي.

وتتعدد المصطلحات الدالة على طرق هذا التغير فمنهم من يطلق عليه مصطلح التغير الدلالي، وبعضهم يطلق عليه مظاهر التغير الدلالي، فيما يسميه البعض قوانين التغير الدلالي ويشير اللغويون إلى أشكالٍ متعددة لهذا التغير جديرة بأن ترصد حركة دوران الدلالة مع ألفاظ اللغة بمرور الزمن.

من أحد أنواع ذلك التغير أن تخصص كلمة عامة ويضيق معناها بمرور الزمن لتدل بفعل ذلك التخصيص على بعض ما كانت تدل عليه من قبل، والأمثلة على ذلك كثيرة منها في العربية كلمة (الحريم) التي كانت تطلق على كل محرم لا يمس، وهي الآن تطلق على

---

[1]- ينظر شرح المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام، بشرح المقدمة الأدبية لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس،ط2، 1978م،ص15.

النساء خاصة[1]، وكلمة (ركعة) التي كانت تطلق على كل قومة، ثم استعملت في الشرع للدلالة على هيئة مخصوصة في الصلاة[2]، و(الطرب) وهي كلمة كانت تدل على الفرح والحزن، أصبحت الآن للدلالة على الفرح فقط، و(الوعد) وهي كلمة استعملت في الوعد بالخير والشر على السواء، أصبحت تعني الوعد بالخير فقط[3] وكلمة (meat) في الانجليزية كانت تدل على كافة أنواع الأطعمة، وتطورت بمرور الزمن لتدل على اللحم فقط.[4]

وهناك نوع آخر وهو أن تعمم كلمة خاصة، وتحول دلالة الكلمة من المعنى الجزئي إلى المعنى الكلي، فتدل بذلك التعميم على أكثر مما كانت تدل عليه، من ذلك مثلا كلمة (البأس) التي كانت تعني الشدة في الحرب، ولذلك سميت الحرب بأساً، ثم أصبحت تستعمل للدلالة على كل شدة[5]. وكلمة (barn) في الانجليزية كانت تدل على مخزن الحبوب والشعير خاصة، فأصبحت الآن تطلق على المخزن عامة، بما في ذلك مأوى السيارات.[6]

ومنه أيضا تغيير دلالة الكلمة باستعمالها مجازا، لعلاقة ما، كالمشابهة أوالمجاورة أو السببية، ونمثل لها بكلمة (الشوكة) (مفرد الشوك)، أصبحت تطلق على أداة الطعام المعروفة لعلاقة المشابهة.[7]

وقد تكتسب الكلمة - نتيجة إلى تغير المعايير الأخلاقية بمرور الزمن - دلالات هامشية اجتماعية مضادة لدلالاتها الهامشية السابقة، ككلمة (طيب) التي اتسمت قديما بصبغة المدح، فلا يخلو استعمالها الآن من الإشعار بالاستخفاف والاستعطاف.[8]

---

1- ينظر دلالة الألفاظ إبراهيم أنيس، ص 154.
2- ينظر: علم الدلالة، فريد حيدر، ص 76.
3- ينظر: بحوث ودراسات في علم اللغة، مجدي إبراهيم محمد إبراهيم، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، 2004م،ص204-208.
4- ينظر: معجم اللغة النظرية، محمد الخولي، ص 176.
5- ينظر: دلالة الألفاظ إبراهيم أنيس، ص 155.
6- ينظر: المورد، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثقية والعشرون، 1988م، ص89.
7- ينظر: المعجم الوسيط القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، 2004 م، المعتمدة من مجمع اللغة العربية، شوك ص 501.
8- ينظر: وصف اللغة العربية دلاليا، محمد محمد يونس علي، ص186.

إن الانفعالات والنزعات والميول المدركة من قبل أفراد البيئة اللغوية متعددة المصادر فليس بالإمكان تحديد أنواع الكلمات التي تحمل تلك الانفعالات وتلك النزعات والميول. ولعل من أكثر الكلمات التي ترتبط بدلالات هامشية اجتماعية على سبيل المثال الكلمات الدالة على الألوان، فاللون الأخضر مثلا يوحي لمجتمع ما بالأمل، والأمان، والطمأنينة بيد أنه لا يحمل نفس الدلالة في ثقافات أخرى. واللون الأسود في مجتمع ما قد يدل على التشاؤم واليأس، ويرمز به للحداد، ولكنه يكون محببا في مجتمع آخر. واللون الأحمر يدل على التضحية في سياق ما، لارتباطه بلون الدم فيقال (الحرية الحمراء)، في حين أنه يوحي بالخلاعة والمجون في سياق آخر فيقال (ليلة حمراء).

كذلك تحمل الكلمات الدالة على مظاهر الطبيعة ومحتوياتها، وبعض الحيوانات والنباتات دلالات هامشية اجتماعية زائدة عن معناها المركزي، فيوحي القمر بالجمال والإشراق والشمس بالعلو والوضوح، كما يوحي الغراب بالتشاؤم، والثعلب بالمكر والأسد بالشجاعة، وغصن الزيتون بالسلام، والورد بالوصل والمحبة.

إن تراكم الدلالات على الكلمة، بسبب عامل الزمن وما يتعرض له المجتمع من ظروف ثقافية واجتماعية، يكسبها قوة خارقة، وتصبح أداة قيمة للتعبير عن التجارب الشخصية. والشعراء والكتاب والأدباء عامة أكثر من يفيد من تلك الظلالات التي تحيط بالألفاظ.

# الفصل الثاني

# الدلالة الهامشية الاجتماعية

# المبحث الأول

# دلالة المفردات (الألفاظ)

لا شك أن انتشار الصحافة، والإمكانات الحديثة للسينما والإذاعة، والأساليب العصرية لفنون الدعاية والنشر، منحت الكلمة قوة لم تعهدها من قبل، مما جعل أي نقد يوجه إلى اللغة تكون الكلمة عرضة لأن ينظر إليها على أنها السبب الأساس، وليس ثمة ما يثير الدهشة أو الاستغراب من المكانة التي تنفرد بها الكلمة، فمنها يتشكل الكلام، واللغة لا تتحقق إلا بالكلام.[1]

ولاشك أن الألفاظ ذات الدلالات الهامشية الاجتماعية في البيئة اللغوية هي النتاج الحضاري والفكري، وحصيلة الموروث الاجتماعي لتلك البيئة، لذا فقد تمكنت تلك الألفاظ من الاستقرار في اللاشعور الجماعي، مما وسع مجال استخدامها داخل الجماعة اللغوية، حتى كادت تعد بمثابة الدلالة المركزية بالنسبة لتلك الجماعة.

تؤثر هذه الألفاظ كما وكيفاً في معجم اللغة المستخدم من قبل المتكلمين، ويتجلى ذلك التأثير في اندثار بعضها وطغيان البعض الآخر. تندثر على سبيل المثال بعض الكلمات المستخدمة في الأحاديث اليومية والتي ارتبطت في أذهان الناس بمعان مبتذلة كالكلمات الدالة على قضاء الحاجة، أو على الغريزة الجنسية، أو ألفاظ الشتائم والسباب، وغيرها فتنزوي لتحل محلها ألفاظ أخرى، أكثر تهذيباً. في الوقت الذي نجد فيه ألفاظاً كالكلمات العاطفية تزداد شحناً كلما زاد استخدامها حتى يصبح المعنى الهامشي لها بمثابة معناها المركزي.

فالمفردات في حركة دائمة، تتبع الظروف الاجتماعية المتغيرة على الدوام، فتنزع سياقها القديم وتلبس سياقاً جديداً يناسب المرحلة والظروف، لتكتسب معنى أو فكرة، فقد يضاف مدلول جديد إلى كلمة قديمة، أو تبتكر كلمة جديدة للدلالة على مدلول قديم.

إن ظهور الحاجة لدى المجتمع، والتطور الاجتماعي والثقافي، وما ينتاب الفرد من مشاعر عاطفية ونفسية، كلها أسباب تعمل مجتمعة في تغير المعنى. فعند ظهور الحاجة

---

1 - الكلام هو الصورة الفعلية للغة، إذ اللغة نظام إجتماعي فالكلام تموضع للغة.

إلى مواكبة التطور يلجأ أبناء اللغة إلى الألفاظ ذات الدلالات المنتشرة فيحيون بعضها، ويطلقونه على مستخدماتهم ملتمسين في ذلك أدنى تشابه.

فاللغة "ظاهرة اجتماعية في المقام الأول، ومن هنا كان للرمز اللغوي دلالة اجتماعية تؤخذ في عين الاعتبار، عند التحليل الدلالي للرموز اللغوية داخل النصوص، وهكذا تتنوع الدلالات"[1].

والمعنى هو الهدف الأساس للدراسة سواء أكانت دراسة معجمية أم سياقية، فدراسة المعنى المعجمي أول خطوة للحديث عن دلالة الكلمة، استعمالاتها التاريخية والحاضرة وتتعلق هذه الدراسة في علم اللغة الحديث بثلاثة عناصر هي:

1- ما تشير إليه الكلمة في العالم الخارجي.

2- ما تستدعيه الكلمة في الذهن من معان.

3- درجة التطابق بين العنصرين الأول والثاني.

أما في الدلالة السياقية، فالكلمة رهن بالسياق وبالبيئة اللغوية التي تحيط بها. وتستمد دلالتها من السياق الاجتماعي أو سياق الموقف، مما يساعدنا في تعيين معناها الاجتماعي، وهو ماله علاقة بالظروف الاجتماعية التي مرت بها الكلمة. وبالاستجابة التي أصبحت تلاقيها هذه الكلمة، والأثر الذي أصبحت تتركه، إذ الكلمة ليست بمعزل عن المجتمع، فهي وليدته وهو مُوجدها، وكلمات اللغة تعكس الأحوال والظروف سواء أكانت سياسية، أم اقتصادية، أم اجتماعية، ولذلك تحمل الألفاظ دلالات هامشية ينفرد بها كل مجتمع، ويتحدد المعنى أو معاني الكلمة من خلال علاقاتها، فلكل كلمة معنى أساس ومعنى مراد، والسياق هو الذي يحدد المعنى، ومن هنا قيل: لا تبحث عن الكلمة وابحث عن استعمالاتها.[2]

والمعنى الدلالي ذو عنصرين هما: معنى المقال: وهو المعنى الحرفي أو الظاهري للكلمة، ومعنى المقام، حيث فكرة المقام هي الأساس الذي ينبني عليه الشق الاجتماعي من

---

1 - علم الدلالة، فريد عوض حيدر، ص29.

2 - ينظر: علم الدلالة دراسة وتطبيقا، نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قار يونس بنغازي، الطبعة الأولى،1995م، ص 96.

الوجوه الثلاثة للمعنى: المعجمي، والوظيفي (الصوتي، البنيوي، التركيبي) والاجتماعي وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات، والأحداث، والظروف الاجتماعية السائدة ساعة أداء المقال.

فاللغة "ظاهرة اجتماعية شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي يتكلمها، وهذه الثقافة في جملتها يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة التي يسمون كلا منها مقاما"[1]، وهو ما عبر عنه البعض بالمعنى الخارجي والمعنى الداخلي للكلمة والبعض الآخر بالمعنى القصدي والمعنى التوسعي، " وقد مثل لذلك الفيلسوف (هياكو) بجملة: اليهودي يهودي، وفسر (هياكو) كلمة يهودي الأولى بأنها تدل على الفرد الذي ينتمي إلى الشعب اليهودي، أما معنى كلمة يهودي الثانية فهي كما يقول محتال بخيل لئيم"[2].

وبما أن صاحب النص بثقافته، وخلفيته الحضارية، هو المنتج للمعنى والدلالة، فإنه يلجأ أحيانا كثيرة - بغية التعبير عن مقصده - إلى استخدام ألفاظ لها دلالات هامشية اجتماعية لا تكون واضحة إلا في سياقها المكاني والثقافي، فتظل الكلمات حاملة للمعاني المتعارف عليها إلى أن يأتي الأديب المقتدر الذي يفجر طاقات معانيها، لتخرج إلى السياقات المختلفة فتتنفس الكلمات وتنبض بالحياة.

**الدلالة الهامشية الاجتماعية في ألفاظ النيهوم**

تناول النيهوم قضايا سياسة، واقتصادية، وفكرية، وأدبية بالنقد والتحليل، محاولا تقديم مشاريع بديلة في المجالات المذكورة، وميز أسلوبه الخروج ببعض الألفاظ عن معانيها المركزية، لأنه أراد أن يرسل بها معاني لم تكن ترسلها قبل أن يطوعها، باعتماده كثيرا

---

1 - اللغة العربية معناها ومبناها، حسان تمام، ص337.
2 - مجلة الفكر العربي المعاصر، موريس ابو ناضر، العدد 18، 19-3-1982، من كتابه مدخل إلى علم الدلالة الألسني، ص33.

استخدام الدلالات الهامشية الاجتماعية لألفاظ كثيرة، فاللغة عنده وعاءٌ لحمل الأفكار والشفرة اللسانية، وتفسيرها وتكوينيا في الأساس يحتاج إلى مجتمع يحوي هذه الشفرة داخله، محولاً إياها إلى لغة مفهومة، يقول: "إن ما يسميه نقادنا (كلمات) ليس في الواقع سوى مجموعات من الصور الذهنية - سواء كانت كاملة أو مبتورة - تظل تتوالى في ذهن المتكلم والمستمع بطريقة تضارع الذهن البشري في تعقيده، ممتزجة بالتجارب السابقة لكل منهما، منتجة من ذلك (انطباعاً) جديداً خاصاً - مثل بصمة الأصبع - لا يتشابه بين اثنين".[1]

والنيهوم باعتباره كاتباً وناقداً للأوضاع السياسية، والاجتماعية، والفكرية في المجتمع العربي عامة، والمجتمع الليبي على وجه الخصوص، وهو أحد شبابه الذين فتحوا عيونهم على الفترة الزمنية الواقعة ما بين عامي 1945–1955م، المليئة بالحيرة والضيق والخوف التي وسمت خطوات جيله، وملأت قلبه بالحسرة على المجتمع الذي تحوّل أفراده الطيبين إلى محاربين فقدوا أسلحتهم الجادة، وبقيت تلك الرغبة في الثراء بأية وسيلة على امتداد فترة الستينيات من القرن المنصرم[2]، التي شيدت نتاجه الأدبي بكتاباته المختلفة.

وحرية المبدع تكمن في التوظيف الإيحائي الذي يعطي الكلمة وجهاً جديداً، حيث يتحرر من دلالات الكلمات في الواقع العملي، ويجعلها ذات دلالات جديدة، وفي ارتباط القول بمقتضيات الحال للوصول إلى الدلالة المقصودة، ويتم ذلك باختيار الكلمات المعبرة عن المواقف المختلفة. وقد أتقن النيهوم استخدام إمكانياته في ذلك، وهو الذي جمع بين الفكر والأدب بنتاجه الغزير، استطاع أن يزاوج بينهما، ويبلغ مقولته بطريقة فنية قلما نعثر

---

1 - الكلمة والصورة، الصادق النيهوم، دار الطباعة والنشر، طرابلس، إعداد وتعليق سالم الكبتي،ص19، يحوي سلسلة مراسلات نشرت في صحيفة الحقيقة 1966م.

2 - الفترة التي بدأت مع اكتشاف النفط وما انعكس على أحلام وتطلعات الشباب في النهضة السياسية والاقتصادية والثقافية، فكان يحدوهم الأمل في تحسين مستوى معيشة المواطن الليبي، ويساورهم الشك في نوايا أصحاب القرار.

عليها عند كاتب آخر - كما أرى - ولربما هذا ما ميّز الكاتب وجعله متفرداً في أسلوبه الذي اتسم بقوة إقناعه وقدرته على جذب المتلقي.

ورغم البعد المكاني استطاع أن يستدعي ذكرياته عبر شوارع سوق الحشيش والصابري، ويستنهض من أعماقه حصيلة من القصص الحزينة والتفاصيل المؤلمة، يسوقها في قالب ممتع، قادرٌ على شد القارئ من بدايته، لما فيه من إجادة السرد ولذة الوصف والتصوير.

ومن خلال وصفه، نقف على استعماله للدلالات الهامشية الاجتماعية لبعض الألفاظ وهي ألفاظ ذات أبعاد ثقافية مألوفة ومفهومة في سياقها المكاني والزماني، عوّل عليها في إيصال ما أراد، فالمجتمع الذي يخاطبه يدرك جيداً معانيها الأساسية، وبذلك تسنّى له أن يرسل من خلالها معاني هامشية.

المرابط -

عن وجهة نظره في تسييس الدين على يد الحاكم، الذي يرى أنه لم يعد مسلما كبقية الجماعة المسلمة، ولا يستطيع بالطبع أن يصبح إلهاً، فيضل في خانته بينما يتراجع اليقون بضع درجات إلى أسفل، فالمسلم لا يضع الحاكم مع الله بل يعطيه خانة منفصلة، ويتراجع هو متطوعاً إلى أسفل، ومع وجود هذه الخانات أو الفراغات يظهر الفقهاء كوسطاء بين الخالق والمخلوق، ويصبح الدين مهنة ووظيفة للاسترزاق، وتنقطع العلاقة المباشرة بين الله وعبده، مما يجعله يتوسل أمواتاً لقضاء حاجاته يقول: "فالإنسان العربي المعاصر هو الوحيد في العالم الذي ما يزال يعتقد أن المرابط الميت يستطيع أن يخف لنجدته"[1]. فالمرابط هو شخص ميت عرف في حياته بالصلاح، ولكنها تحمل دلالة أخرى هي الوساطة الدينية، والقدرة على تحقيق المعجزات. ويسود الاعتقاد بجدوى

---

1 - ثلاث كلمات نقال بأمانة عن مشكلة التراث العربي، الصادق النيهوم، تالة للطباعة والنشر، طرابلس، إعداد وتحقيق سالم الكبتي،ص 31، يحوي سلسلة دراسات نشرت في الحقيقة عامي1969-1970م .

اللجوء إلى هؤلاء المرابطين في حل مشاكل المواطن دون أن يتكلف عناء العمل، ومن هنا تقدم لهم الهدايا والخدمات المجانية.

يصور الكاتب بنهجه المنطوي على دلالات وإيحاءات يستطيع القارئ أن يستخلصها بنفسه، مظاهر التخلف التي كانت تسود المجتمع وقت كتابة المقال إذ يقول في نفس الموضوع : " في بنغازي ثلاثة أولياء صالحين ينامون في قبورهم على قارعة الطريق العام، وفي طرابلس ولي آخر يستلقي داخل قبره المرمري في وسط شارع البحر، والمرء يعرف بالطبع أنهم جميعا أولياء صالحون حقا وأنهم سوف يكسرون رأسه إذا غامر بإثارة غضبهم في الجريدة اليومية"[1]. في إيحاء إلى الأمية المقنعة، أو ما فسره بالإيمان بالخرافات والتسليم بالساند.

ويقول في المرأة التي وجدت نفسها مرغمة على تقبل الثقافة الأحادية الذكورية، التي يتبناها المجتمع، والتي تحاول إقناع نفسها بمقدرة المرابطين في الوقوف إلى جانبها وإيجاد الحلول، ولو لبعض قضاياها: " لا تعرف وسيلة فعالة لتحقيقها سوى أن ترشو المرابط الميت بشمعة وقليل من البخور"[2].

شيخ المحلة .

عبر الكاتب بهذا اللفظ عن أي موظف مسؤول آنذاك، و شيخ المحلة هو إمام الحي، ولكن لأن هذا الإمام يمنح نفسه صلاحيات أخرى لا تعد ولا تحصى، ويتحكم حتى في معتقدات المواطنين، لذلك كان يعني في لغته الدلالة على الاستبداد والتحكم. فيقول: "شيخ المحلة

[1] ـ ، كلمات الحق القوية، الصادق النيهوم، دار الكتاب للطباعة والنشر، طرابلس، الطبعة الأولى،2002م، ص261.
[2] ـ العودة المحزنة إلى البحر، الصادق النيهوم، دار الكتاب للطباعة والنشر، طرابلس،الطبعة الأولى 2004، ص179.

المضحك الذي يموت مرتين لكي يقنعنا بأننا لابد أن نشتري من دكانه وحده، وأننا لا نملك سببا للشكوى "[1].

وشيخ المحلة هذا لا يعطي لنفسه حق تقرير المصير فحسب، ولكنه يتدخل في أدق تفاصيل حياة المواطنين ويفتي بشأنها فلا تتزوج المرأة إلا بإذنه. " ومنذ ذلك الوقت حازت السيدة الليبية رضاء شيخ المحلة، وعرف أنها ستذهب إلى الجنة حتى أنه بات يمنحها الحق في الزواج بمجرد أن تدق وشمتها: ووهب نفسه للدفاع عنها في الصحف المحلية"[2].

الشيطان -

أما لفظ ( الشيطان ) فقد استخدمه للدلالة على الانحراف، فكل من يحاول أن يصرف نظر المواطن عن مصلحته وسعادته فهو الشيطان. "كل شيء مصاب بالحزن. والمطر يهطل بلا انقطاع. والعالم محارة معبأة بالماء. فأين يذهب الفقير يا سيدي الشيطان"[3]. فالشيطان هنا المسؤول عن توفير لقمة عيش المواطنين، وعندما لم يفعل ذلك اضطر المواطنون إلى الطرق المئوية لتوفير لقمة عيشهم، أي أنه حرفهم عن طريق الصواب.

" وأنا هنا فوق هذا المنبر المفتوح للنقاش. وأمام شيخ المحلة وصديقه الشيطان "[4] المسؤول المستبد الذي يمثله شيخ المحلة، والشيطان رئيسه الذي يطلق يده استبدادا.

ويؤكد لنا استخدامه للشيطان بمعنى الضرر، أي أن الشيطان كل ما يضر الإنسان وينحرف به عن طريق الصواب، هذه النتيجة التي يفضي بها بقوله: " أنا الشيطان

---

[1] . كلمات الحل القوية، الصادق النيهوم، ص41.
[2] . ثلاث كلمات تقال بأمانة عن مشكلة التراث العربي، الصادق النيهوم، ص48-49.
[3] . كلمات الحل القوية، الصادق النيهوم، ص23.
[4] . ثلاث كلمات تقال بأمانة عن مشكلة التراث العربي، الصادق النيهوم، ص43.

الحقيقي فإنه يجلس في صدور الناس فماذا أردت أن أقول لكم أجل الشيطان هو جهلنا "[1].

رغيف الخبز -

" كسرة الخبز يزرعها الفلاح ثم يأكلها سيده مدهونة بالعسل، ويعده بالذهاب إلى الجنة في نهاية المطاف "[2] الخبز هو العجين الناضج على النار، فالخبز دلالة على الأكل، ولأنه الأكل الأساس للإنسان سمي "العيش" وقد بات يعني اجتماعيا كل مأكول زهيد يؤكل ليسد الجوع فقط، يقول: " الزنوج في الأدغال...لا ينظمون الثورة ضد تجار الرقيق بل ضد تجار المطاط والذهب والكاكاو والذين يتدفقون لسرقة خبزهم"[3]. أي سرقة قوت يومهم. ويقول: " وأنا لا أريد أن أكسب عيشي بالمصارعة في ديوان السلطان، إن الخبز لا يطهرد سوى العرق "[4] في إشارة إلى تفاقم السطوة السياسية على حرية المواطن واستعباده، التي وصلت إلى درجة التحكم في قوته اليومي، والخبز تعبير عن مقومات الحياة والحقوق الأساسية، يقول: " أعني من أجل حمير القافلة ورغيف الخبز للعيال لماذا لا يترك الملك السماء للطيور ودخان المطبخ؟ "[5].

الألوان :

---

1 ـ تحية طيبة وبعد، الصادق النيهوم، تالة للطباعة والنشر، طرابلس، الطبعة الثانية،2001م، ص187.
2 ـ كلمات الحق القوية، ص23.
3 ـ إسئلة، الصادق النيهوم، تالة للطباعة والنشر، طرابلس، الطبعة الأولى،2002م، ص22، وهي دراسة بعنوان عشاق من افريقيا نشرت عام 1966م.
4 ـ من قصص الأطفال، الصادق النيهوم، تاله للطباعة والنشر، طرابلس، الطبعة الأولى، 2002م، ص22.
5 ـ تحية طيبة وبعد، ص22.

تحمل الألوان في الغالب دلالات هامشية اجتماعية، وقد تختلف دلالة اللون من مجتمع إلى آخر. فالأسود أكثر ما يرمز به للحزن والتشاؤم. ويدل على كل ما يكره المرء من عواقب، ومن سوء أحوال.

يتأوه من أفكاره المؤلمة التي تظهر بين الحين والأخر، تقض مضجعه، ولا يملك إزاءها حلا والتي لا تكاد تفارقه قائلا: "وعادت مرة أخرى أفكاري السوداء.. رباه ما أقسى التفكير في الغد حين يكون الإنسان بلا غده "[1]. للدلالة على فقدان الأمل في المستقبل، والسير في طريق مجهول النهاية.

يصف رنيس تحرير إحدى الصحف استثاره ما كتبَ عنه "عاد ممتلئا حماقة وغيظا مثل ديك مستثار،...طفق يقرأ ما كتبه...ثم نقش لسانه بالقلم قائلا في ذات نفسه: نهارك أسود "[2]. دلالة على سوء المصير.

جنون العظمة لا يؤدي إلا إلى سوء العاقبة، وأغلب النهايات السيئة سببها الغرور، ولذلك وصف بالسواد، ورغبة النياشة في إسعاد الشعب ليست هي الكارثة فهي غالبا ما تخطىء الطريق في ذلك، وتتسبب في كوارث إنسانية قاتلة ومليئة بالشقاء، تحت شعار تحقيق الأمن العلمي وسعادة الإنسان، ولم يجدالنيهوم خير دليل من المدعو هتلر فيقول: " يتورط أحيانا في فخ الغرور الأسود الذي سقط فيه ذات مرة المدعو أدولف هتلر "[3]. واصفاً غرور هتلر بالسواد للدلالة على سوء نتائجه.

يتحدث عن نتائج التطور في بحث الإنسان دائما عن الآلة البديلة، التي تؤدي مهمتها في خدمة أغراضه بفعالية أكثر من الالة السابقة، ويعلن أن لعبة ( الكفاءة ) التي ظلت تمد حضارتنا بالقيم، وظلت المصدر الحقيقي لتطور عالمنا المعاصر في ميدان الآلة، لا يخفى على الجميع أنها جعلت الإنسان نفسه آلة يصف جناحها بالأسود للدلالة على ما خلفته من

---

1 ـ نوارس الشوق والغربة، سالم الكبتي، ص231.
2 المصدر نفسه ص252.
3 ـ كلمات الحق القوية، الصادق النيهوم، ص240.

أثر سيئ على الإنسان فيقول " تستطيع أن تتجنب الخطأ النهائي القاتل وتطوي الإنسان نفسه تحت جناحها الأسود باعتباره مجرد آله ملزمة بالتطور المادي"[1]..

ويقول أيضا في مخاطبة الزنجي على لسان الفقي وأبناء عمه وأصحاب القرية الذين يعتقدون أن العبد الذي لا يملك حق صيد السلاحف في قريتهم، هو من أمر أحد صبيانهم بربط قاربه على الشاطئ، وبذلك عرض الصبي للخطر "أنت تستطيع أن تربط قاربك الأسود بمفكك ... أولادنا لا علاقة لهم بسلاحفك السوداء "[2]. فالأسود هنا ليس بالضرورة لون القارب، ولكن الفقي نعت قارب الزنجي بالسواد لشؤمه على أهل القرية.

وقد استخدم السواد لدلالته على التشاؤم في وصفه لغربته " فالغربة السوداء على أوصفة هذا العالم الفخم هي التي علمتني أن أخدع نفسي...والغربة السوداء هي التي مزقت أبعادي...الغربة السوداء يا صديقي رشاد* "[3].

يروي سادة المواطنين الذين يهربون من أوطانهم باحثين عن العيش الرغيد في الأوطان الأخرى" فالباب الأسود ينطبق وراءك بمجرد أن تضع رجلك في الداخل... ويطرق سمعك صراخ الضحايا المحورين في العتمة وتدرك على الفور أنك وقعت ضحية مثلهم في الفخ وأنك تفتقد ضوء الشمس في سوق الجمعة "[4]. قاصداً بالأسود ما وراء ذلك الباب من عواقب وخيمة، ومن ندم حين لا ينفع الندم، لسبب بسيط ، وهو أن الإقامة في وطن آخر لا تغني عن الوطن.

---

[1] ـ العودة المعزلة إلى البحر، الصادق النيهوم، ص11-12.
[2] ـ من مكة إلى هنا، الصادق النيهوم، تالة للطباعة والنشر، طرابلس، الطبعة الثانية،2001م، ص115.
[3] ـ نوارس الشوق والغربة، سالم الكبتي، ص138.
[4] ـ فرسان بلا معركة، الصادق النيهوم، تالة للطباعة والنشر، طرابلس، الطبعة الثانية،2001م، ص103.

البقرة:-

البقرة حيوان معروف ، تربى بغرض الاستفادة من ألبانها ولحومها، تعطي كميات كبيرة من اللبن مقارنة بغيرها من الثدييات، أصبح لها دلالة أخرى هي السخاء، يقال: ( بقرة حلوب ) وقد استخدمها النيهوم في كتاباته بهذه الدلالة، فيقول في حديثه عن الحلول التي تضعها الجماعات البشرية لتدبر أمر بقائها " فالأمر في الواقع لا يتوقف على نوع العلامة التي تحملها البقرة فوق جلدها، بل يتوقف بالضبط على ما تعطيه البقرة من الحليب "[1] . أي أن: البشر الذي يستحق البقاء في نظر صناع القرار، هو الذي يعطي أكثر ويدرك أقل، فيستغل دون علمه، ويوضح ذلك في عبارة أخرى بقوله:

"يتحول إلى أداة قاتلة في يد السلطان الذي يعمل بلا انقطاع لمسخ رعاياه إلى أبقار للحليب "[2]. للدلالة على استنزاف السلطان لرعاياه بقدر المستطاع، وامتصاص ما أمكن من عرقهم. والمرأة التي تقدم كل شيء دون مقابل مقنع أو حتى مجرد إحساس الآخرين بذلك العطاء هي أيضا مستغلة: "لقد أصبحت دون أن تدري قطعة من الأطفال والبيت وتركتنا نبني فوق أكتافها النظام الاجتماعي الوحيد في العالم الذي يستغل فيه الذكر أنثاه وبقرته لأداء مهمة واحدة "[3]. وقد قارن كثيرا جدا في كتاباته بين المرأة والبقرة، ووجه الشبه، استغلال كليهما باعتبارهما مصدرا ضروريا للحليب، فطالما اختصر المجتمع الذكوري دور المرأة في ذلك، وصرف النظر متعمدا، عن إمكاناتها العقلية والفكرية كإنسان. غير أن النيهوم عبر بها عن نفسه ذات مرة، في رسالة بعث بها إلى صديقه الفاخري استهلها:

---

1 ـ ثلاث كلمات تقال بأمانة عن مشكلة التراث العربي، الصادق النيهوم، ص11-12.
2 ـ المصدر نفسه ص79.
3 ـ فرسان بلا معركة، الصادق النيهوم، ص17.

" أنا بقرة بدون ذيل..أنا سمكة.. وقد أصابني الحزن مرة أخرى..إنه عاطفة مملة ذلك الحزن..يشبه التقيؤ في إناء مملوء بالزيت..كم يبدو ذلك مقززا"[1]

من المضحك أن يتخيل المرء بقرة من دون ذيل، ولكنه يكتشف شيئا جديدا كلما يعاود القراءة؛ فالبقرة المضحكة إشارة إلى مثل شعبي متداول هو: ( بقرة من غير ذيل ينتش عليها الله ) والمعنى العجز الكامل والحاجة إلى المساعدة، للخروج من دائرة الحزن المؤلم.

الغراب -

الغراب نذير شؤم، وهي دلالة هامشية متعارف عليها في كثير من المجتمعات. ففي رواية ( من مكة إلى هنا ) يقول الفقي للزنجي وكان قد تشاجر معه في المقهى بعد عودتيما من جنازة الصبي: "إن الغربان والعبيد السود نذير من الله بالسوء"[2].

وفي موضع آخر يقول: "إلى أن حانت ساعة الصفر ونعق غراب البين على البيت المقابل للكوشة ومات الحاج الزروق "[3].

وفي حوار بين الزنجي البائس وأحد النوارس " سأله متظاهرا بالرغبة في المزاح: هل ستهب العاصفة أيها الغراب الأبيض؟"[4].

"بعد ذلك رأى أحد النوارس يراقبه مدهوشا فوق حافة الطريق العام غمزه بعينه وقال له محاولا خداعه: هذه مباراة في شد الحبل أيها الغراب الأبيض "[5].

---

1 ـ نوارس الشوق والغربة، سلم الكبتي، ص65.
2 ـ من مكة إلى هنا، الصادق النيهوم، ص15.
3 ـ تحية طيبة وبعد، الصادق النيهوم، ص22.
4 ـ من مكة إلى هنا، الصادق النيهوم، ص96.
5 ـ المصدر نفسه، ص78.

فالنورس هنا يأتي للزنجي في لحظات يأس. وتبيل حدوث أمور لا يرغب في حدوثها، لذلك يتشاءم منه ويدعو غرابا، لدلالة الغراب على التشاؤم. يؤكد ذلك قوله فيما بعد:

" النوارس غربان بيضاء وقد مسخها الله لأنها تسرق طعام الصيادين"[1].

الشمس -

الشمس هي الأمل، إذ تمثل إشراقتها في كتابته ظهور أي شيء جميل بغتة وسط أي ظلام. " وفي اللحظة التالية أطلت الشمس برأسها وراء زجاج النافذة وقالت له على مسمع من الرومي الأعرج: العبد يراهن ضد العاصفة "[2]. فالشمس ذلك الخاطر المفاجئ الذي داهم ذهن الزنجي في تلك اللحظة وحثه على مواصلة التحدي. ويقول أيضا: " وفجأة أطلعت الشمس رأسها وقالت للمرأة الزنجية: إن العاصفة انتهت"[3].

فالشمس هي الأمل والوضوح، ولا يمكن للحياة أن تستمر من دونها. وهذا ما يؤكده في أحد حواراته الصحفية قائلا: "الشمس في العادة لا تخطئها العين المدربة... الشمس ليست مقصودة في ذاتها بل المقصود الحقائق الساطعة "[4].

الذيل -

استعمل الكثير من الألفاظ الأخرى بدلالتها الهامشية الاجتماعية، كاستعمال كلمة ( ذيل ) للدلالة على آخر الشيء. " وفي ذيل القائمة تبقى الحقيقة القبيحة المثيرة للعار والألم. إن صوتا واحدا يرتفع بشجاعة لفضح مغالطات الأمية المقنعة في ميدان السياسة والدين والأخلاق يستطيع أن يخدم بلدنا بصورة أفضل مما تفعل ألف

---

1 ـ من مكة إلى هنا، الصادق النيهوم، ص18.
2 ـ المصدر نفسه، ص106.
3 ـ المصدر نفسه، ص88.
4 ـ طرق مغطاة بالثلج عن الصادق النيهوم، سالم الكبتي، ص329.

مدرسة يعمرها ألف أمي قارئ"[1]. يناقش الأمية المقنعة، وهي الانسياق وراء كل ما يقال، والتسليم بالسائد مهما كان، والاكتفاء بمحو أمية القراءة والكتابة، وتنمية الذهن خارج مجال التخصص. ويصف الافتراض السائد بأن الأمية هي عدم المعرفة نتيجة العجز عن القراءة، بأنه افتراض لا يتورط في قبوله إلا رجل شبه أمي دون أن يدري.

ويستعمل الذيل في موضع آخر وبنفس الدلالة " قد جعل نيران الحب تلتهب في جوفه حتى أنها أحرقت الحوت في ذيل البحر "[2]. فليس للقائمة ذيل وكذلك البحر، ولكنها الدلالة الهامشية للذيل على آخر أي شيء.

الطاقية الحمراء

"وإننا في ليبيا منغمسون في الفكر المستورد إلى حافة طاقيتنا الحمراء"[3]. والانغماس ليس بالضرورة أن يشمل الطاقية، وإنما لدلالتها على أعلى شيء في الإنسان وهو رأسه، فأراد التغماس حتى الرأس.

الموت -

واستعمل الموت بدلالته الهامشية على حالة الجمود، فوصف توقف الكاتب عن الإبداع وسكون الحياة للمبدع بالموت، فلا حركة ولا حراك " موت الكاتب في الحياة ماذا يعني؟ هل هو انتحار أم نهاية بليدة مثلا؟ "[4].

---

1 ـ فرسان بلا معركة، الصادق النيهوم،ص72.
2 ـ ثلاث كلمات تقال بأسف عن مشكلة التراث الغربي، الصادق النيهوم، ص66.
3 ـ ثلاث كلمات تقال بأسف عن مشكلة التراث العربي، الصادق النيهوم، ص40-41.
4 ـ طرق مغطاة بالثلج عن الصادق النيهوم، سالم الكبتي، ص329.

باعة أعواد الثقاب -

"ومـا الـذي تسـتطيع كلمـاتي أن تفعلـه في رؤوس البقـالين وباعـة أعـواد الثقـاب"[1].

والمعني المتاجرون بقضايا الشعوب، ومن يشعلون الفتن ويثيرونها.

---

1 - كلمات الحق القوية ، الصادق النيهوم،ص 108.

## المبحث الثاني

## دلالة التراكيب (العبارات الاصطلاحية والأمثال الشعبية)

التراكيب المعنية في هذا البحث، هي التعبيرات اللغوية التي لا يُفهم معناها من معاني كلماتها إذا أخرجت من سياقها.

إن دلالة التركيب على مدلول معين كدلالة الكلمة المفردة في السياق المحدد، فمثلما لا يمكننا أن نفهم دلالة الكلمة من أصواتها ومقاطعها حال تفرقها، كذلك لا يمكننا فهم هذا التركيب من مفرداته متفرقة، فهي كلٌ لا يمكن تجزئته، يستخدم لمناسبته.

هذا التركيب قد يكون مثلا أو تعبيرا اصطلاحيا. "والمثل هو (تركيب ثابت شائع موجز، يستخدم مجازيا، يعتمد كثيرا على التشبيه).

أما التعبير الاصطلاحي فهو "أسلوب لغوي خاص بجماعة من الناس في لغة ما، لا يمكن نقله إلى لغة أخرى. له قوانين لغوية خاصة يخضع لها، ربما تتفق أو تختلف وقواعد اللغة العامة، لا يستمد معناه من مجموع ألفاظه؛ لأن ظاهر ألفاظه يؤدي معنى مختلفا لمعناها داخل التعبير"[1] ومن ثمّ ينبغي أن يدرس باعتباره وحدة دلالية متكاملة.

وكما يصيب الكلمة تغيرا دلاليا يتعرض التركيب للتغير ذاته، ولعل أكثر ما يصيب التراكيب اللغوية من تغير دلالي هو التوسع في الدلالة، فالأمثال الشعبية والتعبيرات الاصطلاحية تستخدم للتعبير عن المواقف المشابهة للموقف الأول الذي نشأ فيه التعبير أو القول، إذ باستطاعته أن يقوم بذات الوظيفة الدلالية المعبرة عن هذا الموقف المشابه بطريقة مثلى، لما له من وضوح دلالي في حياة الجماعة يُستدعى حين الحاجة إليه.

وقد أولى علم الدلالة هذه التعبيرات اهتماما كبيرا لدلالتها الاجتماعية على عادات الشعوب، وتقاليدها، وطرائق معيشتها، و ممارساتها الحياتية، كل ذلك يظهر من خلال هذه التعبيرات، سواء كانت تراكيب صغرى كالتركيب الإضافي مثل (جلد الذات) أو (نبض الشارع) أوالتركيب الوصفي مثل (التصفية الجسدية) أو (التطهير العرقي)

---

[1] - ينظر: التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة، كريم زكي حسام الدين، دار غريب للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2003م، ص 15.

أوالتركيب الفعلي مثل (يعطي الضوء الأخضر) أو(يرفع الراية البيضاء) أو تعبيرات سياقية كالأمثال، والعبارات الاصطلاحية، والأقوال المأثورة والتي سنتعرض لها لاحقا.

هذه التراكيب كما المفردات، هي نتاج لذلك الموروث الفكري والحضاري للجماعة اللغوية، قد وضعت في الأساس للدلالة على معناها المركزي، إذ أطلقها أفراد من واقع تجاربهم الفعلية، وبمرور الأيام والأحداث اكتسبت هذه التراكيب دلالات هامشية، فأصبحت تضرب للدلالة على معان أخرى مفهومة من قبل الجماعة اللغوية الواحدة.

ولهذا نلجأ كثير من النصوص - لتوصيل أفكارها ومعانيها المحددة - إلى الأمثال الشعبية والتعبيرات الاصطلاحية، وربما أيضا إلى القصص والأساطير ذات الدلالات الاجتماعية التي لا تكون واضحة إلا في سياقها المكاني والزماني والثقافي، والذي قد يختلف عن السياقات التي تنتمي إليها نصوص أخرى.

والقرآن الكريم كان دائما على رأس النصوص التي أولت هذه التعبيرات اهتماما وشانا، في توصيل مقاصدها، فنجد تلك التعبيرات والأمثال في الكثير من آياته، نذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى: ( فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا )[1] دلالة على الإهمال والطرح فـ ( لا أقيم له وزنا ) تعبير اصطلاحي بمعنى لا أهتم لأمره، و(الوزن) هنا للتعبير عن ثقل معنوي وهو ثقل المكانة.

وقوله تعالى:( وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ )[2] يقال لكل من ندم وعجز عن فعل شيء ( أسقط في يده ) وهو تركيب اصطلاحي لأن دلالته على معنى الندم لا تفهم من معاني مفرداته (أسقط ) (في) (يده) ولا حتى من تعلق أوله بثانيه وثالثه تعلق الفعل المبني للمفعول بنائب فاعله، أو تعلق أوله بثانيه تعلق الجار بمجروره.

وكذلك قوله تعالى ( حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا )[3] دلالة على انقضائها ، أي: حتى تنتهي الحرب.[4]

---

[1] - الكهف آية 105.
[2] - الأعراف آية 149.
[3] - محمد آية 4.
[4] - ينظر: علم الدلالة، فريد عوض حيدر، ص114.

والتراكيب ذات الدلالات الهامشية الاجتماعية، تشمل كل جملة تتجاوز فيها الكلمات معانيها الأصلية الدالة عليها في اللغة، وهي منعزلة عن سياقها، أي دلالتها المركزية، ومع ذلك يدرك السامع من أبناء الجماعة اللغوية دلالتها المقصودة، ويمثل لذلك ستيفن أولمن بكلمة (blackbird) المكونة في الأصل من (black) بمعنى أسود و (bird) بمعنى طائر، فيقول أن معناها الأصلي، (الطائر الأسود) ولكن ذهابها في طريق التركيب إلى حد بعيد جعلها كالكلمة الواحدة، بدليل أنها أصبحت تطلق على نوع معين من الطيور وليس كل طائر أسود[1].

كما تشمل التراكيب ذات الدلالات الهامشية الاجتماعية كل عبارة من لفظين أو أكثر انتظمت معا بما يقتضي علم النحو. ولكنها تؤدي إلى دلالة مختلفة عما يقتضيه ظاهر التركيب، ومن ذلك:

(ضرب به عرض الحائط) فلا يحتاج السامع إلى جهد كبير لكي يفهم أن المعنى (أهمله). وفي الانجليزية (kick the bucket) تعني (مات) وفي الفرنسية ( mettre les points sur les « i ») تعني (أوضح الأمر) مع أن ظاهر التركيب في الأمثلة السابقة لا يدل ذلك، ولم يفهم من مفرداته مستقلة، وإنما اصطلح على هذا التعبير لهذه المناسبة.

وتقول العرب مجازا :( لمع السراب ) ويضرب لما لا حاصل له من الوعد الكاذب، فقد شبه الوعد الذي لا يتحقق بالسراب اللامع، واتسعت دلالته للتعبير عن كل موقف يتكرر فيه مثل هذا الوعد.و يقولون: ( فلان ابن أبيه ) بمعنى أنه على خلقه وطبعه ويقولون (عريض الوساد) وهم لا يقصدون بذلك حجم الوساد، وإنما تقال دلالة على الكسول البليد الذي لا يهتم بأداء ما عليه[2].

ويعبر أحمد مختار عمر هذه التراكيب في تقسيمه للوحدات الدلالية، الوحدات المتركبة، ويقول أنها متركبة من وحدات على مستوى الكلمة، وانه يعني بها في استخدامه تلك

---

[1] - ينظر: دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ص160.
[2] - ينظر:علم الدلالة،فريد عوض حيدر،ص115-116.

العبارات التي لا يفهم معناها الكلي بمجرد فهم معاني مفرداتها، وضم هذه المعاني بعضها إلى بعض. وفي هذه الحالة يوصف المعنى بأنه تعبيري، ويعرفها بأنها كل التعبيرات المكونة من تجمع من الكلمات يملك معاني حرفية ومعنى غير حرفي مثل التعبير العربي: (ضرب كفا بكف) والذي يحمل معنى ( تحيّر )[1] .

هذه التراكيب موجودة في كل مستويات اللغة، الفصيحة والعامية، وقد تكون على شكل جملة كما في العبارات السابقة، أو تراكيب صغرى مكونة من كلمتين يحمل كل منهما دلالة خاصة، مفهومة للمتكلم والسامع، ولكنهما يتحولان معا إلى معنى جديد غير المعنى المتعارف عليه لكل واحدة منهما، مثل (حقن الدماء) بمعنى إيقاف الحرب أو الحيلولة دون وقوعها، و(غسل الأموال) وهو إيجاد بعض الشرعية للأموال المجهولة المصدر، لكي يمكن استعمالها، و(تبخر الأحلام) بمعنى ضياعها.

ومن ذلك أيضا إعطاء لفظ الأم والأب و الابن معان أخرى بإضافتها إلى غيرها، فيقال: (ابن السبيل ) أي المسافر، لأن المسافر يشق طريقاً طويلاً في سفره، ويستغرق وقتا ليس بالقليل في صحبة ذلك السبيل، فيطلق عليه ابن السبيل حتى يعرف اسمه. كما نقول في الخمر ( أم الخبائث ) لما قد يفعله الشارب من أفعال سيئة.

وقد تميز أسلوب التهويم كما أسلفنا باستخدام الدلالات الهامشية لهذه التراكيب على المستويين العامي والفصيح، وهذه بعض الأمثلة على مستوى اللغة الفصحى:

يقول مثلا: " يعطي حرمه بالجربى* وبالأسلاك الشائكة أيضا، فالوقاية دائما خير من العلاج "[2] فـ (الوقاية خير من العلاج) عبارة اصطلاحية متداولة، ولكنه لم يستخدمها بمعنى الوقاية من المرض، بل أراد بها الوقاية من ترك الحبل على الغارب للمرأة. وهو يتكلم هنا على لسان الرجل المتسلط، الذي ينظر للمرأة على أنها مخلوق لا يحسن

---

1 ـ ينظر: علم الدلالة، احمد مختار عمر، ص33.

* الجربي : عباءة سوداء من الصوف تلبسها النساء، وتسمى ( جرد )، وأصلها من لفظ ( جربة ) وهي إحدى المدن التونسية.

2 ـ ثلاث كلمات نقال بأمانة عن مشكلة التراث العربي، الصادق النيهوم، ص56.

التصرف بحريته، وبالتالي أفضل علاج لذلك هو الوقاية من تلك الحرية بسلبها من الأساس.

أما الحاجة أمدللة، الشخصية الشهيرة بعد الحاج الزروق، فيصف الكاتب رحلتها الاضطرارية إلى بلاد النصارى لتلقى العلاج هناك، وهذا الأمر تصاب جرائه بصدمة حضارية، للاختلاف المدهش في العادات والتقاليد، ما يدفعها إلى أن تغلق على نفسها غرفتها في المستشفى، وترفض التعامل مع الأطباء وتأبى منحهم الإذن بفحصها، إلى أن تجبرها آلام الروماتيزم على الانصياع للفحص والعلاج، مما يشعرها بالخزي والعار وهي تتخيل تعليق جبرانها وسكان حيها عند وصول الخبر إليهم، يقول: "وأعلنوا للعجوز الليبية التي أخفت وجهها منهم تحت الوسادة أن السيل قد بلغ الزبى، وأنهم مضطرون للتدخل"[1]. و عبارة (بلغ السيل الزبى) تقال عندما يفقد المرء صبره ولا يرى استجابة ممن يتعامل معه، فهذه المرأة مليئة بالمخاوف من طعام المستشفى، وتصر على أن تعد طعامها بنفسها حتى وإن كان هذا الطعام لا يمدها بالقوة المطلوبة لمقاومة الروماتيزم.

ويضع النيهوم يده على الجرح، ويشير إلى موضع العطب، وهذا دأبه في عرض ومناقشة القضايا الاقتصادية قائلا: "والشعب يعرف من أين تؤكل الكتف"[2]. بمعنى أن الشعب ليس مغفلا ولا غافلا عن مصالحه، ويمكنه إدارة شؤونه الاقتصادية، لو ترك له المجال، وكف المستغلون عن استغلاله، و(يعرف من أين تؤكل الكتف) مناسبة لهذا المقام، فهي تقال لمن يحسن التصرف ويعرف جيدا ما يريد.

---

1 ـ فرسان بلا معركة، الصادق النيهوم، ص136.
2 ـ تحية طيبة وبعد، الصادق النيهوم، ص19.

وهذا ما يراه شيخ المحلة في نفسه، ويعتمد عليه في استبداده برأيه: "كان يعرف من أين تؤكل الكتف ويعرف الجنة شبرا شبرا "[1] والدلالة هي أن شيخ المحلة يعتقد أنه يعرف كل شيء، ولذا من حقه أن يتولى تقرير مصير مواطنيه.

ويتحدث في أحد المواضع عن بعض معاناته، فيقول مخاطباً طفله قبل أن ينام: " أنا لم أنس أن أودعك...وبعدكم كان طريقي كله ترابا.من مدريد إلى استونيا بلا طعام سوى لقمة تسولتها من سفارة في الطريق ثم تركتها لهم في ثقب المفتاح ففاقد الشيء لا يعطيه والريح لا يبيعه النخاس"[2].

استعمل عبارتي ( فاقد الشيء لا يعطيه ) و( الريح لا يبيعه النخاس ) للدلالة على مدى بؤسه وعوزه، واضطراره للقمة العيش، وأن بعده عن الوطن والأحباب كان دائما مصدر ألمه، فهو لم يشعر لحظة واحدة أن هذا البعد قد حقق له مبتغاه.

عندما يحاول أحدنا أن يقوم بإصلاح شيء لا أمل في إصلاحه إما لشدة عطبه، أو لأنه قد فات الأوان للإصلاح، يقال له: (لا يصلح العطار ما أفسد الدهر)، لأن العطار قد يشفي بعض الأمراض بأعشابه، ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً أمام كبر السن وقوة الدهر. يقول النيرم: " لأن العطار لا يصلح ما أفسده الدهر وإن أصلحه فإنه يفعل ذلك عادة من باب الدعاية فقط وينكشف القناع في نهاية المطاف أمام أعين الغرباء"[3] وهو يسخر بهذا القول، مما فعله موظفو البروتوكول الإسرائيلي، عندما أصروا على أن ترتدي رئيسة وزرائهم أثناء زيارتها لأمريكا آخر ما انتجه مصممي باريس، لأنه سيكون في استقبالها الرئيس ( ريتشارد نيكسون ) ويريدون أن يكون مظهرها كممثلة لإسرائيل، مواكباً للعصر على حد قولهم. ويزيد من السخرية ما قاله لها الخبير الفرنسي : ولكني لا أستطيع أن أنقلك إلا إلى عصر ريتشارد قلب الأسد.

---

[1] . تعبة طبية وبعد، الصادق النيهوم، ص23.
[2] . كلمات الحق القوية، الصادق النيهوم،ص54.
[3] . تعبة طبية وبعد، الصادق النيهوم،ص32.

العطار هو مظهر وشكل رئيسة الوزراء، وما أفسد الدهر هو سياسة إسرائيل التي يبدو أن الجميع يائس من تبدلها. " فلا تحمل حمارك أكثر مما يطيق.. ولا تطلب المستحيل في موسم المشمش "[1]. أي أنه ليس بوسع إسرائيل أن تعول كثيراً على بعض المحاولات الكاذبة، لإقناع الرأي العام، أو كسب الحق فيما تفعل، للدلالة على ما يجري من إباحة استعباد القوي للضعيف، وسهولة السطو على الآخرين، وتحقيق الأمجاد الشخصية على حسابهم.

ويقول ساخراً من موسوليني الذي يفتتح غزوه لليبيا بكلمة ترحيب رقيقة: "والجوع مرأيها السادة، ومن يده في الماء لا يعرف لدغ النار، وقد جاءنا موسوليني لأننا لم نذهب إليه"[2].

موسوليني جاء يحقق مجداً له ولبلاده باحتوائه مستعمرة جديدة، وله أن يختار أعذب الكلمات لذلك الدخول، لأن يده في الماء. فهو لا يفطن لما سيصيب الليبيين من جراء ذلك الغزو نهباً وقتلاً.

استأجر غرفة عند امرأة عجوزية في هلسنكي. وكانت تتحامل عليه دائماً وتبحث عن سبب لطرده لعدم تمكنه أحياناً من الدفع، وقد وجدت في جيبه صورة لفيروز فحاولت أن تجعلها سبباً لطرده، يقول: " ثم وجدت إحدى الصور في جيب سترتي فطفقت تتأملها باشمئزاز، مصدرة صوتا وقحا من بين شفتيها وقالت في النهاية: الطيور على أشكالها تقع، أي مخلوقة جانعة هذه.. ولماذا تبدو عيناها مثل فردتي حذاء؟"[3].

كما نجد في مجال العامية الكثير من هذه التراكيب، والتي تستخدم أيضا بدلالاتها الهامشية، لتوصيل فكرة مشابهة، لا تفيم من مكونات التركيب ، ولكنها تصل عبر إدراك الجماعة اللغوية.

---

1 ـ تحية طيبة وبعد، الصالح الشهوم، ص32-33 .
2 ـ كمك الحق الغوية،الصالح الشهوم، ص104.
3 ـ المصدر نفسه، ص70.

" ويصبح من أعيان المدينة لكي يشار إليه بالبنان، ويقال عنه إنه يقف على شنباته الصقر "[1]. عبارة اصطلاحية عامية تقال للرجل الشديد، لأن الشنب الكبير يعني القوة والصرامة في العرف. ولكن هناك نوعا من الخلط كثيرا ما يحدث، بين شدة الرجل وعظمته، وبين ما يفعله من مظاهر كاذبة، كوضع المزيد من الذهب في أذني زوجته، وتزيين سرج حصانه بالفضة، وخروجه مع خادمه لشراء مستلزمات بيته، وغيره من محاولات لطلب تلك المكانة أو لتعويض مركبات النقص لديه.

وتواصلا لما بدأه الكاتب من رصد لبيئة الرجل الليبي - وقت كتابة المقال - وسطوته غير المبررة تجاه المرأة والطفل، يفضح مساوءه وهو الذي يدعي الالتزام بالأخلاق والفضيلة. فيقول الحاج الزروق - تلك الشخصية التي ابتدعها خيال الكاتب ومرر خلالها رؤيته للحياة والمجتمع - مبديا ضيقه لزوجته لأنها رأت الملك في منامها وابتسمت له " فكينا من السياسة..فجوع كلبك يتبعك..ويعطي لك عين الشمس بالغربال "[2]. في إشارة إلى الهوة الكبيرة بين الشعب والحاكم، التي زرعت الخوف والرعب في المواطن فبات يخشى من مجرد الحديث عن السياسة. مع أنه يعرف على ما يبدو أن الحاكم يشغله بجوعه لكي يبعده عن السياسة، فلا يكون له متسع من الوقت سوى البحث عن قوت يومه.

وفي إحدى قصص الأطفال حيث يتفوق سارق بسيط على لص محترف ويستطيع خداعه، يقول: " أعاد الكيس وحده إلى الزير وبداخله ورقة صغيرة مكتوب فيها : علمناه الصلاة سبقنا على الجامع "[3]. مثل شعبي يقال لمن تعلمه شيء فيتقنه أكثر منك.

وفي صفحات أخرى من هذه القصص بعد أن نجحت حيلة الزوجة، واستطاعت أن تُخرج النعجة من بيت السلطان لكي تحقق أمنية زوجها، ويضحي بها يوم عيد الأضحى كما يفعل بقية جيرانهم تقول: " يا زوجي العزيز من قال لك إن راقد الريح يلقى العظم

---

1 - ثلاث كلمات تقال بإطلاقة عن شكلة التراث العربي، الصادق النيهوم،ص66.
2 - تحية طيبة وبعد، الصادق النيهوم،ص27.
3 - من قصص الأطفال، الصادق النيهوم،ص35.

في الكرشة"[1]. عبارة يوصف بها سوء الطالع. جيء بها في هذا الموضع للدلالة على أن الإنسان قادر على فعل المستحيل لو أراد.

وفي رواية(من مكة إلى هنا) يقول أحد الصيادين للزنجي متهكما: " هل تعتقد أنني أحضر إلى هنا بدون المصباح معتمدا على ضوء خدك "[2]. لتذكير الزنجي بلون بشرته التي تحط من قدره بالمقارنة مع بقية سكان القرية، والسخرية من قدراته، وإشعاره بأنه لن يحظى بالمساواة مع بقية السكان لأنه أسود، في إشارة إلى التمييز العنصري.

وفي مجمل حديثه عن المعجزات التي لم تعد معجزات في عهد العلم والمعرفة والتي حسب رأيه أصبحت تولد بالصدفة إذ يقول "ينبت الشوم في كرمة العنب..يعطس التمساح..تحدث أي خارقة أخرى "[3].

بأسلوب مجازي تمتزج فيه الحقائق مع الخيال، لتقريب فكرته وتبرير وشرح دوافع اليمينة الذكورية. يقول مستعملا الحاج الزروق لذلك الغرض: " الحاج الزروق الذي سمع من والده المثل القائل ( اضرب القطوس تخاف العروس) تزوج وأحضر قطة معه في ليلة الدخلة وجلس يضربها فوق السدة "[4]. وفي إشارة - في نظري - لما تفعله السلطة من تخويف للمواطن بطرق غير مباشرة، وبشفرات تصل إليه فيفهمها سريعا بحكم خبرته الطويلة ومعاناته مع تلك الجهات.

وعن تجاهل المواطن لمشاكله، وخوفه حتى من تناولها للنقاش يقول: "وأنا أقول للحاج الزروق (هذا ثور)..فيقول لي (باهي أحلبه) وينسى أن يحضر معه جردل الحليب"[5]

---

1 - من قصص الأطفال، الصادق النيهوم، ص58.
2 - من مكة إلى هنا، الصادق النيهوم،ص16.
3 - تحية طيبة وبعد، الصادق النيهوم،ص171.
4 - المصدر نفسه، ص23-24.
5 - المصدر نفسه، ص23.

للدلالة على تجاهل المواطن لقضاياه، وادعائه الغفله والغباء، وعدم الالمام بما يجري من حوله، لأسباب تخصه.

وفي موضع أخر يصف أخلاق المقاولين الذين استحوذوا على لقمة عيش الشعب باسم المقاولة، والعمل الحر قائلا: " فضائح المقاول الذي يستطيع أن يفعل كل شيء من بيع العمال بالميزان إلى بيع الريح للمراكب بأكثر من تسعيرة "[1].

فللنظر إلى أي مدى يستغل هؤلاء المقاولون الفرص، ويأكلون الأخضر واليابس، فالريح ميسة جداً للمراكب، وهي مجانية من خالقها. ولكن المقاول قادر على المتاجرة بأي شيء بما في ذلك بيع الريح للمراكب، مشيراً إلى ظاهرة البشري.

وفي أحدى رسائله للبعباع[2] يقول: " وقل لفندوس* إن صادق على الحديدة وان النقود التي أرسلها والدك لم تصله بعد "[3]. طالبا المعونة والنجدة و(على الحديدة) تعبير عامي يعني مفلس.

ويتذكر أيام دراسته الابتدائية مع زملائه في مدرسة الأمير، ويصف فقرهم واحتياجهم للمقومات الأساسية للحياة، وكيف أن المناهج الدراسية بعيدة كل البعد عن واقع حياتهم، وأن ما يدرس لهم لن يصل بهم إلى سبيل المعرفة الحقيقية " دخل معلمنا بخطوات ثابتة ووقف مستندا إلى السبورة وقال لنا: اكتبوا الآن السؤال الأول.. وين السماء يا رئيس ؟. لم نعرف الإجابة.. ولم يعرفها معلمنا رغم أن النافذة كانت مفتوحة على مصراعيها وكان بوسعنا أن نفتش الجواب "[4]. للدلالة على أن ما يقال ليس هو الواقع دائما ولكننا نجبر أحيانا على تقبله.

---

1 ـ كلمات الحق الغوية، الصادق النيهوم،ص173.

* فندوس: لقب لأحد أشقاء الصادق النيهوم.

2 ـ عبد القادر البعباع هو أحد أصدقاء النيهوم منذ الطفولة إذ كان من سكان حيه، وزميل مراحل دراسته.

3 ـ نوادر الشوق والغربة بعض من رسائل الصادق النيهوم، سالم الكبتي، ص192.

4 ـ تحية طيبة وبعد، الصادق النيهوم،ص28.

كان الجميع يعتقد باستحالة زواج رجل واحد بأربع نساء، إلى أن بنى الحاج الزروق داراً وتزوج امرأة اسمها ( اوريدة ) ثم بنى داراً وتزوج امرأة اسمها( نوارة ) ثم بنى داراً وتزوج امرأة اسمها ( زهرة ) أما (يسمينة) فقد زرعها في وسط الحوش. حدث ذلك أمام أعينهم. يقول في ذلك: "من المستحيل أن تتزوج أربع نساء من الحاج الزروق. ومع ذلك فالمية تكذب الغطاس "[1]. للدلالة على أن سيطرة الرجل وأخذه بزمام الأمور قائم، وأن استسلام المرأة وهو ما يشجعه.

1 ـ تحية طيبة وبعد، الصادق النيهوم،ص28.

## المبحث الثالث

## دلالة الأحداث والأماكن والشخصيات التاريخية

اللغة سلوك ثقافي، والمقصود بالثقافة هنا مجموع التركة التي يرثها جيل عن جيل، من تقاليد وعادات ونظم معيشة، وعقائد، ولغة وما إلى ذلك.

تتداخل هذه الموروثات مع بعضها بمجموعة من العلاقات المنطقية، التي يثير وجودها أصداء انفعالية لدى الجماعات اللغوية بمختلف ثقافاتها.

ولعل من أبرز هذه العلاقات، اقتران بعض الأحداث، والأماكن، والشخصيات التاريخية في أذهان الجماعة اللغوية، بدلالات معينة، يستدعيها ذهن الفرد عند ذكرها، كأن يذكر (عام الفيل) مثلا فيتبادر إلى الذهن (مولد الرسول صلوات الله وسلامه عليه) وما يثيره من مشاعر طيبة عند المسلمين، تكاد تطغى على مشاعر السخط وعدم الرضا، التي يثيرها ذكر العام نفسه من محاولة أبرهة الحبشي هدم الكعبة. كذلك الأمر بالنسبة لما يثيره ذكر بعض الأماكن ، كمكة المكرمة أو المدينة المنورة، أو ذكر بيت المقدس.

إضافة إلى ذلك بعض الشخصيات التاريخية، أي :الشخصيات التي خرجت عن نطاق المألوف، لعدم كونها شخصيات اعتيادية تقليدية، وكان ذلك الخروج إما بصفات تميزت بها، أو أعمال أنجزتها، جعلتها تلك الصفات أو الأعمال ـ من أي نوع كانت ـ رموزا معبرة، أي قد أصبح لتلك الشخصيات دلالات هامشية، تتجاوز حدودها الشخصية لدى الجماعة اللغوية، كدلالة أيوب على (الصبر) ودلالة فرعون على (الظلم) ودلالة قارون على ( الثراء والتبطر ) ودلالة عمر المختار على (التضحية) ودلالة جحا على (السذاجة الحكيمة) .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أمرين: الأول أن الدلالة الهامشية لهذه الأحداث والأماكن والشخصيات موجود في كل الثقافات، والثاني أنه ليس بالضرورة أن تكون كلها واقعية، فمنها ما هو أسطوري خيالي.

وقد استخدم النيهوم في كتاباته مجموعة من الأحداث و الأماكن و الشخصيات، الواقعي منها والأسطوري، وبمختلف ثقافاتها، وما تعنيه لجماعاتها اللغوية من دلالات هامشية.

أولا:- الأحداث

حصار طروادة[1]

قارئ كتابات النيهوم يلحظ كثرة استخدامه لقصة حصار طروادة، فهو يقول مثلا في مجمل حديثه عن الفقر، والمواطن الذي يقاتل من أجل أن يقسط معاشه الضئيل على أيام الشهر، وعن فشله في معظم الأحيان " لكن الدرويش لا يصلح للإعلان..أعني لا يحسن الحرفة. ولا يستطيع أن يعري سيقانه من باب الإغراء مثل بنات نيويورك ويغمز للمواطنين . . . إنه لا يستطيع أن يفعل شيئا سوى أن يقف وحده تحت الأسوار مثل حصان طروادة. وينتظر أن يجره أعداؤه على وجهه في الشوارع"[2].

وينتقد قصيدة " الجرادة الذهبية" التي أهداها البياتي للاجئين الفلسطينيين قائلا: "وطروادة تستطيع أن تقدم رمزا. وبابل أيضا تستطيع أن تقدم رمزا آخر أكثر تحديدا في منطقة اللاجئين"[3]. إيحاء بأن البياتي يحمل رؤاه بأمانة تصل أحيانا إلى حد التورط في القضايا السياسية المحددة.

القصص -

ويستعمل أيضا الدلالات الهامشية لبعض قصص الأنبياء، كفكرة صلب المسيح في اعتقاد النصارى، وطوفان نوح، وخروج يونس من بطن الحوت وغيرها.

---

1 - حصار الإغريق لطروادة، الذي ذكر في الإلياذة، دام عشر سنوات، وابتدع الإغريق خلاله حيلة تمثلت في صنع حصان خشبي ضخم ملىء بالمحاربين، واختفى الجيش للتمويه. أعتبر الطرواديون الحصان هدية سلام، وقاموا بنقله إلى داخل المدينة. وفي الليل خرج الجنود من الحصان، وقاموا بفتح بوابات المدينة ليدخل منها الجيش الإغريقي، ويحتل مدينة طروادة بعد مجزرة رهيبة.

2 - تحية طيبة وبعد، الصادق النيهوم،ص31.

3 - إمنة، الصادق النيهوم،ص84.

فيما هو يسرد مسيرة الإنسان عبر تاريخ الحضارات، وسعيه إلى تادية وظيفته كخليفة الله في الأرض على أكمل وجه، ويتهم الملك دائما بالحيلولة دون تحقيق الإنسان لذلك الهدف النبيل، ويستمر في السرد حتى يصل إلى القانون الروماني الذي يمنح الإنسان حق السيادة قائلا أنه هو نفس القانون الذي يفرض عليه رق العبودية.

فيقول عن الروماني "ولكن أكبر هزائمه على الإطلاق لحقته في المرة الأولى عند صلب عيسى المسيح، ثم لحقته في المرة الثانية في موقعة اليرموك، عبر محاولة واحدة شديدة الوضوح لتأكيد شكل المساواة في العالم"[1] يشير بصلب المسيح إلى هشاشة ذلك القانون وعدم صدقه، وبمعركة اليرموك إلى هشاشة القوة المادية أمام الإيمان بالقضية.

يحكي أن اثنين من المواطنين اجتمعا ذات مرة لكي يتبادلا الشكوى من كيد النساء، فقال أحدهما للآخر: أن امرأته تخبئ برغوثا تحت السدة[2]، وقال الثاني: أنها تخبئ فيلا؟

"فخرجا متعادلين رغم الاختلاف في حجم الأكذوبة واتفقا على إعادة المباراة..لكن النتيجة لم تتغير قط، أعني حتى بعد أن صارت السدة مثل سفينة نوح لم تتغير النتيجة ولم ينهض الطوفان "[3]. إشارة إلى العقلية التناسلية، التي تصر على التكاثر رغم أنها لم تحقق بذلك النتيجة المرجوة.

ويشبه البقعة الداكنة الصغيرة في رأس ذكر سلحفاة بطبق مدور من الذهب النقي، تلمع عبر عتمة المياه "وكانت أسا طير الصيادين تزعم أن سيدنا يونس قد تناول عشاءه ذات ليلة في ذلك الطبق فيما كان ذكر السلحفاة يمخر عباب البحر لكي يحمله

---

1 ـ ثلاث كلمات تقال بمناسبة عن مشكلة التراث العربي، الصادق النيهوم، ص16.
2 ـ السدة : السرير أو الفراش الوثير الذي يوضع في حجرة النوم، حيث كان يصنع من الخشب، يحمى بإطار حديدي مزين مالمان. وأحيانا يكون لها سلم للركوب والنزول لعلوها
3 ـ تحية طيبة وبعد،الصادق النيهوم، ص26.

إلى الشاطئ بعد أن خرج من بطن الحوت"[1]. للدلالة على ما يفعله البعض من تهويل للأمور، وزخرفة للأقوال، تؤدي إلى خلط الحقائق بقصد التمويه والتضليل.

**الأحداث السياسية:-**

يستخدم أحيانا بعض الأحداث السياسية، و الثورات التي حدثت في العالم، ليس بقصد السرد التاريخي لهذه الأحداث، وإنما لدلالات هامشية على قضايا أخرى. فيرى أن كلمة الجاهل لا تعني غير المتعلم، بل تعني من لا يحسن التصرف، حتى ولو كان متعلما، وهو يطرح قضية الجهل كثيرا لتوصيل ذلك المفهوم، فيدلل بحادثة سقوط برلين في أيدي الروس على أن الجهل كان السبب في ذلك " منذ أحد وعشرين عاما اجتاح الروس برلين...ولم تسقط برلين وحدها.. بل سقط شعب ألمانيا كله مرة واحدة، وأبيحت المدينة لمدة خمسين ساعة، تعلم الألمان خلالها درسا لا يمكن نسيانه قط... وانتهت ألمانيا...ووقعت وثيقة استسلامها بدون قيد أو شرط"[2]. للدلالة على ضعف القرارات الفردية، والحكم المطلق للرجل الواحد، مشيرا إلى أن سبب ذلك الاحتلال هو جهل "هتلر" ودكتاتوريته.

يرى كذلك أن جهل إمبراطور اليابان هو السبب في حادثة هوريشيما وناجازاكي، فيقول: " ثم قرر ترومان أن يلقي لعبته الذرية فوق رأس إمبراطور اليابان وجلس الإمبراطور

---

1 . من مكة إلى هنا، الصادق النيهوم، ص61.
2 . تحية طيبة وبعد، الصادق النيهوم، ص177.

منكس الرأس لكي يوقع وثيقة استسلام أخرى فيما رست البوارج الأمريكية على طول سواحل بلاده وتركت له سبعين ألف جندي أمريكي يتعلم منهم الطاعة "[1].

الأساطير والحكايات

يستنجد أحيانا - لتوصيل فكرته - بما يحويه الأدب العالمي، والتراث الإنساني، من أساطير و حكايات، كاستخدامه حكاية طواحين الهواء، للدلالة على جدية طرحه فيما يخص قضية الجهل " إننا لا نقاتل طواحين الهواء. ولا نخلع الألقاب من باب العبث اللفظي لكي ندعو مواطنا ما باسم الجاهل أو العالم وليس مما يجدينا أن نضيع وقتنا في حلب النجوم"[2]. للإشارة إلى أن الحياة وحدها هي المقياس الصحيح، وأنه يجدر بالإنسان أن يستمد منها مقاييسه للجيل والمعرفة على حد سواء.

وفي حديثه عن قيمة المواطن، وأنه يستحق أكثر مما يتخيل المانحون، الذين يعدونه بالمزيد دائما إلى وقت غير معلوم، يستعمل حكاية الغزلان، والتي تقال للأطفال، بأن الغزلان تسقيهم إذا ناموا عطاشا، فيقول في مخاطبة طفل في خياله " هل نمت الآن هل شربت حاجتك من الماء فإن الغزلان لا تسقي أحدا إذا عطش ولكن أمك تقول ذلك لأنها سمعته من جدتها، ولأن جدتها كانت تريد أن لا تبول جدتك في فراشها "[3]. إشارة إلى تنويم الشعوب، وتخدير المواطنين بالوعود الكاذبة.

ثانيا:- الأماكن

أما فيما يخص الأماكن، فإننا عندما نتحدث عنها في كتابات النيهوم، لا نملك إلا أن نبدأ ببنغازي، وما تمثله له من حياة وموت في الوقت ذاته، فهي بالنسبة له لم تكن مدينة ذات أبنية وأزقة، بل هاجسا يئن في قلبه وعقله معا، يتعامل معها على أنها كيان يحس وينطق،

---

1 - تحية طيبة وبعد، الصادق النيهوم، ص178.
2 - المصدر نفسه، ص46.
3 - كلمات الحق القوية، الصادق النيهوم،ص52.

ويستوعب تماما كما يفعل البشر، فيمتدحها تارة ويسخر منها تارة أخرى. يتهمها مرة، ويترحم عليها أخرى ويذرف الدموع من أجلها، علاقته بها أشبه في توترها بصدود عاشقين يكتنفهما الكبرياء فلا يفصح به أحدهما للآخر.

رسم الكاتب حنينه إلى ترابه المغمور بالشمس الدافئة رغم كل ما تحقق له من نجاحات، إلا أنها لم تأخذ من حبه وشوقه المتواصل بوجع لمكانه الأول، حيث أودع نصف روحه وظل يعيش بنصفها الأخر في أوروبا التي أرهقته بصقيعها، تهفو نفسه إلى الوطن، حيث الأصدقاء، وزحام الأسواق الشعبية، والشمس المشرقة طوال العام، يتراءى له ذلك على شكل فردوس مفتقد في ثنايا تجربة السفر و الترحال الطويلة.

" فالمرء عندما يهرب من بنغازي لا يجوز أن يفقد وعيه مطلقا، إن ذلك يجعله عرضة للأحلام إلى حد لا يطاق، ويجعل بنغازي تتسرب إلى رأسه عبر سحابة غير مرئية من وجوه الأصدقاء. وعندما يبدأ في الحديث معهم يعود بالطبع إلى حارتنا المشمسة في سوق الحشيش، ويفقد كل ما فعله الشيطان من أجله "[1].

وتهاجم بنغازي ودون سابق إنذار مخيلته في الغربة، بين وقت وأخر " وأعلن لها أنني لا أحدث نفسي بل أتحدث مع أصدقائي الذين تركتهم ورائي في مدينة بنغازي الرمادية. وعندما تلتفت السيدة حولها لترى أصدقائي... لحسن الحظ لم تكن قادرة على رؤية أحد منهم "[2]. يكمل النص من كلمات الحق القوية

ويواصل قلمه الترحال في عوالم من نسج خياله، قد أفلح في إيجادها في مقال ( الشك ) حيث أرعب على غير العادة سكان العالم السفلي، بطلته الكاملة وبرأس فوق كتفيه بينما هم مقطوعو الرؤوس، فيتسبب لهم في الرعب والخوف. إضافة إلى إحداثه تشويشا في نسق حياتهم الهادئة بعيداً عن تدخلات الأحياء، فيقومون بملاحقته ومحاولة الفتك به إلى أن يستيقظ ليكتشف أنه كان يحلم. يقول مخاطبا نفسه: " كنت أعتقد أنني أعرف في

---

1 ـ كلمات الحق القوية، الصادق النيهوم، ص254.
2 ـ المصدر نفسه، الصادق النيهوم، ص256.

الواقع كل شيء عن بنغازي أعني أعرف الشوارع والمباني والأزقة الخلفية والمرابطين وباعة اللبن والزعماء السياسيين والسيدة أمحظية وكنت أعرف بالذات أن بنغازي تخص هؤلاء المواطنين فقط ... ولقد عشت بعد ذلك ألف عام على أرصفة سوق الحشيش دون أن يخطر ببالي أن هذه المعرفة الواضحة قد تبدو ذات يوم قابلة للشك لكنها بدت على أية حال"[1]. فهو لم يشعر في بنغازي بالخوف أو الرعب أو الغضب، ولكنه شعر بالوحدة المريعة الصاعقة، التي فاجأته وهو في عقر داره، وجعلته يرى بعيني رأسه أن داره في الواقع لا تخصه كليا، وأنه مجرد مخلوق وحيد يجلس فوق السطح فيما يتحرك العالم من تحته مثل بحر من المخلوقات الغريبة مقطوعة الرؤوس. دلالة على غربته الفكرية ورؤاه الطموحة التي حالت بينه وبين التواصل مع أهله وأبناء مدينته.

وهناك أماكن أخرى كان لها بشكل أو بآخر أثر في نفسه، كمدينة هلسنكي الذي طالت إقامته بها. والقارئ النبيه يلحظ أنه يبدأ حديثه أحيانا بـ (في هلسنكي) ويتضح أن (هلسنكي) مجرد وسيلة لإيصال فكرة أو رسالة.

"عندما تزحف الظلال فوق جدران هلسنكي ويسقط المساء عبر مواشير الثلج، أقول لسيدتي الشمس: دعيني أذهب معك أنا لا أريد أن أبقى هنا "[2]. في إشارة إلى الغربة والبعد عن الوطن.

"انتهى الصيف في يوم واحد وطفقت هلسنكي تغتسل من المطر مثل محارة بيضاء وأقفرت شوارع العالم ومهرجانات الشمس. لم يعد ثمة ما يرى سوى بقايا أوراق الشجر والسموات الرمادية والنوارس المقرورة وراء تماثيل النحاس "[3]. ليس الصيف في هلسنكي

---

1 ـ فرسان بلا معركة، الصادق النيهوم، ص173.
2 ـ كلمات الحق القوية، الصادق النيهوم، ص191.
3 ـ المصدر نفسه،ص69.

يومـا واحـدا، ولكنـه أراد بـذلك المظهـر الخـداع للعواصـم الكبـرى، والحيـاة الفارغـة التـي تزخر بها، وما فيها من ضياع لا يدركه سوى المتشردين في شوارعها.

ومدينـة استوكهلم أيضـا كـان لهـا نصـيب فـي كتابتـه "قلـت لـه إذ ذاك إن الأمـر غايـة في البســاطة وإن الســعادة في مدينــة استوكهلم قريبــة المنــال إلى حــد لا يحتمــل "[1]. وسـخرية من المهـاجرين البـاحثين عـن الحريـة والانفتـاح فـي مـدن الغـرب، والـذين يعتقـدون أن الشـقاء سـينتهي بمجـرد أن تفتـح لهـم هـذه المـدن ذراعيهـا، إنهـا سـعادة وهميـة يبحـث عنهـا المهاجرون.

البحـار والمحيطـات محـددة المعـالم، وربـان الـسفينة يمخـر فيهـا بأمان،فـإن اعتقـد الـياسـي أنـه ربـانوأن السياسـة محيط فقد جانب الصـواب، وتـاه في دروب الحياة، يعبـر عن ذلك بقولـه: " الرجـل السياسـي يعتـبر نفـسـه مثـل ربـان سـفينة الركـاب يعـرف وحـده أيـن تـذهب السـفينة وماذا تـستطيع أن تحمـل...وهـذا الاعتقـاد يبـدو عـادلا لـو كانـت الإنـسانية مثـل المحـيط الهـادي بالضـبط مجـرد حـوض مـائي واضـح المعـالم محـدد بـالخرائط وأجهـزة القياس"[2].

**ثالثا:- الشخصيات**

أمـا في مجـال الشخصـيات فإنـه يكثـر من اسـتخدام السـيرة الهلاليـة، وعلـى رأسـها شـخصـية أبـي زيـد الهلالـي، بـدلالتها علـى الحـاكم الـذي تعلـق صـوره علـى الجـدران، والـذي يسـانده الفقهاء لأنه الحاكم بأمر الله، فيقول:"وعنـدما يـسقط الليـل هنـا، وينـزف حزنـا مثلجـا يفـتح

1 ـ فرسان بلا معركة، الصادق النيهوم،ص102.
2 ـ علمات الحق القوية، الصادق النيهوم،ص240.

المقهى أبوابه أعني يفتح قلبي أبوابه وتصف الكراسي و النارجيلات ومعارق البخور الدقيقة الصنع. وتومض عينا أبي زيد الهلالي على الجدار "[1].

" والمرء لا يستطيع أن يخنق أبا زيد المذكور...ولا يستطيع أن يشكوه للشرطة...والفقهاء يقولون أن الله يقف إلى جانبه...أعرف على وجه اليقين أن الله سيتخلى ذات يوم عن أبي زيد الهلالي "[2].

وفي إشارة إلى الملوك والأمراء، وما يفعلوه من عبادة الدينار، واستعباد المواطن وإجباره على خدمتهم وطاعتهم، يقول: " المرابي لا يرى سوى رأس الدينار والعبد للبيع: ليحلب الثور من قرنيه ويحرس عنزات سيده في الحريم.. هل تحبون قراءة الشعر؟ يا أصدقائي التجار في سوق البترول. وباعة الحمص. والخبز والقسطل والصلوات وهل تحبون أبا زيد الهلالي فقد كان صديقكم "[3].

ومن الهلالية أيضاً ولنفس الغرض، استعمل شخصية الزناتي خليفة، مخاطباً من يصدقون هؤلاء الحكام ويتملقونهم ويعتقدون في ديمومتهم " فانظروا إلى أسفل إذا ولدتم مرة أخرى ولا تتركوا النجوم تخدعكم ولا الزناتي خليفة وثقوا أن الله قد وضع الإنسان على الأرض ووضع كل شيء يخصه معه "[4].

والشعراء نيم نصيب في كتاباته، فتناول منهم على سبيل المثال المتنبي و أبو العلاء المعري و البيتي وغيرهم، ولم يكن يعني بذلك الذكر أشخاصهم.

" ليمت الموت، الكلب المربوط في الدرجة الخامسة، الساحر الأعور بائع الخطب الشاعر بلا شعر الذي يفوح برائحة الكولونيا ماركة.. ليمت المتنبي الداعر"[5]. الموت

---

[1] ـ كلمات الحق الغوية، الصادق النيهوم، ص182.
[2] ـ المصدر نفسه، ص183.
[3] المصدر نفسه، ص24.
[4] ـ المصدر نفسه، ص105.
[5] ـ المصدر نفسه، ص270.

الذي يقصده هو الفقر الناتج من انعدام العدالة، فهناك موظف حبيس مرتب شهري غير قابل للنظر فيه، وهناك من يطبل لظلم الحكام وأولي الأمر والمساكين يموتون على قارعة الطريق، وهناك من يستغل الجميع ويدعي لنفسه منزلة يتربع فيها من غير جدارة.

ينتقد استخدام البياتي لقصة (الحلاج)[1] ونظرية جاليليو لدوران الأرض[2] في إحدى قصائد ديوان (سفر الفقراء والثورة) " فإن البياتي - ومن ورائه أبا العلاء - يعرفان أن الحقيقي والجميل والطيب تبقى دائما خارجة عن إرادة النظام الاجتماعي وأن الحياة في حد ذاتها مجرد مسرح بني بطريقة خالية من الأخطاء لإظهار الأخطاء الأخرى"[3]. البياتي وأبو العلاء هنا دلالة على العامة أو الجميع الذين يعرفون أنه لا يحق إلا الحق، وأن تزييف الحقائق يمكن أن يحدث، ولكن لا يمكن له أن يستمر.

ويستعمل شخصيات تاريخية كثيرة من هنا وهناك، كريتشارد قلب الأسد، و موشي دايان و لينين. ففي حديثه عن الفقر في بعض دول العالم، وادعاء بعض السياسيين بأنهم يبذلون أقصى جهودهم للقضاء عليه، وظهورهم بمظهر المهتمين بضرورة المحافظة على حقوق الإنسان، في حين أن الجميع يعرف أنه لولاهم لما وجد من يهضم هذه الحقوق.

"مهنته حاج إلى بيت المقدس، أعني ريتشارد قلب الأسد، وليس متزوجا وليس عنده أطفال أو ريشات ولكنه يملك عدسة تصوير، ويعلقها في عنقه عندما يطوف بأزقة بيت المقدس. ويرشو الأطفال الحفاة لكي يتصوروا معه ويقف بينهم ويبتسم بسنه الوحيدة "[4].

وينتقد الشعراء العرب، وخصوصا المحدثين منهم، على أنهم يفتقرون إلى المنهج الصحيح، ولا تهمهم قضايا الأمة بقدر ما يبحثون عن الأمجاد الشخصية ويتهمهم

---

1 - منصور الحلاج هو أحد كبار الصوفية، وهو رائد القول بالحلول والاتحاد، واتهم إثر ذلك بالزندقة وصلب.

2 - جاليليو عالم فلكي وفيلسوف وفيزيائي إيطالي، قال بخطأ نظرية أرسطو حول دوران الأرض، إذ رأى أن الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس وأنها ليست مركز الكون، بل الشمس هي مركزه.

3 - أسئلة، الصادق النيهوم،ص12.

4 - قلمات الحق القوية، الصادق النيهوم، ص284.

بانهم يضعون الحياة في موضع مخلاة[1] الشعير التي يعلقها المرء في عنق حماره لكي يستغله بعد ذلك في جر المحراث، ويستخدم شخصية موشي دايان لهذه الدلالة.

" إنهم جميعا - مثل موشي دايان الذي يعتقدون أنهم يكرمونه - مجرد أداة في يد الموت الأسود. مجرد أكذوبة فكرية "[2].

ويتحدث عن العنصرية التي يلاقيها المهاجرون، وكافة الفقراء في دول أوروبا، وبانهم في أحسن الأحوال ينعمون بنصف حقوقهم فيقول " ثم يدخل مفتش القطار ويقطع له نصف تذكرة لأنه نصف كاتب. ويتبادل معه الحديث عن عيد ميلاد لينين الخمسين لأنه نصف تاريخ، ... ويعطيه نصف سيجارة ويلقي الباقي من النافذة"[3].

فقد اختار شخصية لينين للدلالة على النصف، في إشارة إلى التجربة الشيوعية، وأن تجارب الأمم هي نصف تاريخ، وهي عادته في دلالة الشخصيات على الزمن كدلالة شخصية (أبو سفيان) على الأسرة الأموية "وقد انتهى الأمر على أي حال بعد اثنتين وثلاثين سنة من وفاة الرسول بوضع الإنسان المسلم في خدمة عائلة أبي سفيان "[4].

إشارة إلى انهيار مبدأ الشورى، على يد معاوية بن أبي سفيان، وإرساء تنظيم سياسي وحكم الفرد والأسرة. ويرمز بشخصية مسيلمة الكذاب للمواطن الذي أفقد الفقر أخلاقه فاضطره لأن يكون كمسيلمة " وأمد له يدي مثل عظم مغسول ومغطى ببعض اللحم يأتي دائما في الميعاد. الاسم مسيلمة الكذاب ابن تفاحة. المهنة فلاح في صحيفة البرافدا، أعني طرابلس. العمر ألف سنة وليلة واحدة"[5].

---

1 - مخلاة : كيس يصنع من الصوف والوبر ويملأ بالشعير عادة ويعلق في رأس الدابة متدليا إلى الأسفل، بحيث يكون فمها في داخله، فيمكنها الأكل منه متى أرادت.

2 - أسئلة، الصادق النيهوم،ص110.

3 - كلمات الحق القوية، الصادق النيهوم،ص272.

4 - ثلاث كلمات تقال بأمانة عن مشكلة التراث العربي، الصادق النيهوم،ص16.

5 - كلمات الحق القوية، الصادق النيهوم،ص270.

واستخدم كذلك شخصيات أسطورية، مما عرفه التراث الإنساني، كشخصيات الأساطير اليونانية، وشخصية دون كيخوت[1]، وشخصية سانتا كلوز[2]، وشخصية السندباد وشهرزاد في أساطير ألف ليلة وليلة.

يصف ديوان (الذي يأتي ولا يأتي) للبياتي بأنه مجرد أوراق مملة، مستخدما أحد شخصيات الأساطير اليونانية " مائة ورقة صغيرة مليئة بالملل.. ولا شيء غير ذلك..ولكنه محبر حاد مثل رأس إبرة يذكر المرء بعذاب أورسيلوس الذي كانت الآلهة تجرب في جلده أسنان الأفاعي "[3]. للدلالة على أن الشاعر يعاني من انقسام حاد في داخله، ويقف عند مفترق طرق بين ما يحس به وما يقوله، في إشارة إلى وضع المواطن العربي بصفة عامة.

ويصف تهاون الكلمات، ويتهمها بالعجز عن الإيفاء بما يريده الكاتب والأديب، وأن الموهبة وحدها هي من يتدخل لإنقاذ الكلمات من ذلك العجز، يقول: "وفي الواقع أنا مضطر إلى أن أمضي خلال فترة طويلة من تاريخ الأدب تمتد بلا انقطاع من أوديسيوس[4] إلى دون كيخوت لكي أحدد بالضبط قيمة المقياس الذي أصبح في يدي"[5]. للدلالة على صعوبة تحديد الموهبة الحقيقية في ظل الخلط الكبير في عالم الأدب والأدباء.

يستخدم شخصية سانتا كلوز في السخرية من اعتقاد المواطن في المرابط الميت " وأنه يستطيع أن يدعوه لنجدته وقت الحاجة ويتوقع أن يراه يخرج محملا بالهدايا مثل سانتا كلوز الذي يصل دائما في الميعاد لتحقيق رغبات الأطفال. والمرء عندما يفعل

---

1 ـ دون كيخوت : هو بطل رواية كتبها الأسباني سرفانتس بأسلوب يسخر فيه من الروايات المغرقة في الخيال. ولاقى جزؤها الأول الصادر في 1605 نجاحا كبيرا، وكذلك الثاني في 1615، ويعرف في العربية بدون كيشوت.

2 ـ سانتا كلوز: هو بابا نويل في الثقافة الغربية، الذي يدخل من النوافذ والشقوق محملا بالهدايا للأطفال في أعياد الميلاد، وهي قصة القديس نيكولاس أسقف (ميرا) الذي كان يوزع الهدايا على الفقراء ليلا دون علم أحد.

3 ـ أمنة، الصادق النيهوم،ص7.

4 ـ أوديسيوس هو ملك إيثاكا الذي ترك بلدته لكي يشارك في حرب طروادة، وهو صاحب فكرة الحصان.

5 ـ الخيمة والصورة، الصادق النيهوم،ص71.

ذلك يضع نفسه -دون أن يدري -في الصف الثاني وراء قبر رجل ميت..ويصبح مجرد طفل في انتظار سانتا كلوز"[1].

ويستخدم شخصية السندباد في نقد البياتي " ومنذ البداية يشعر المرء بأن البياتي سوف يعدد مكانه عبر الأسطورة إلى تلك العلاقة العامرة بالظلال التي قامت في أذهان الكبار والصغار على السواء بين السندباد والمحيط...وهذه لعبة معقدة لأن السندباد -رغم كل شيء -يتجنب الخسارة وقد أنهى كل رحلة بكسب ما "[2]. في إشارة إلى فشل البياتي في الانتصار على الحيرة التي تتملكه وتحول دون إيصاله لما يريد.

يستخدم في نفس المقام شخصية شهرزاد قائلاً: " وشهرزاد هي شرقنا القديم الذي نحاول إعادة بنائه بروح العصر، والموتى الأحياء بالنسبة للبياتي هم صفوف البشر الممتدة في المنطقة عبثا بلا أهداف ولا مناهج "[3].

بقي أن نذكر أن القارئ للنيهوم لابد أن يلاحظ وجود شخصية (ناتاشيا) التي ابتدعها من نسج خياله للدلالة على المرأة الغربية، ويؤكد ذلك تكراره لهذا الاسم دائما، وفي كل مرة تكون ناتاشيا امرأة مختلفة، ولكنها دائما امرأة غربية.

"كانوا يتوقعون مني بالطبع أن أقفز مثل النمر وأخنق صاحب الحانة دفاعا عن أسنان ناتاشيا "[4].

---

1 - كلمات الحق الغربة، الصادق النيهوم،ص261-262.
2 - الكلمة والصورة، الصادق النيهوم،ص47.
3 - أسئلة، الصادق النيهوم،ص83-84.
4 - تحية طيبة وبعد، الصادق النيهوم،ص30.

# الفصل الثالث

# الدلالة الهامشية الفردية

# المبحث الأول

## أثر السياق في تحديد الدلالة

إن نظـام اللغـة نظـامٌ متشـابك العلاقـات بـين وحداتـه، دائـم التجديـد فـي بنياتـه المعجميـة والتركيبيـة، ممـا جعـل تحديـد دلالـة الكلمـة يحتـاج إلـى تحديـد مجموعـة السـياقات التـي تـرد فيهـا، وهـو مـا نـادت بـه النظريـة السـياقية، التـي يعـد منهجهـا مـن أكثـر المنـاهج موضـوعية ومقاربـة للدلالـة، حيـث ينفـي عـن الصـيغة اللغويـة دلالتهـا المعجميـة، ويقـدم نموذجـا فعليـا لتحديـد دلالـة الصـيغ اللغويـة، لأن السـياق يحمـل حقـائق إضـافية تشـارك الدلالـة المعجميـة للكلمة في تحديد الدلالة العامة التي قصدها المتكلم.[1]

فمعنـى الكلمـة هـو الطريقـة التـي تسـتعمل بهـا فـي اللغـة، أو الـدور الـذي تؤديـه، وهـو لا يتكشـف إلا بتسـييق الوحـدة اللغويـة، أي وضـعها فـي سـياقاتٍ مختلفـة، ونقصـد بالسـياق كيفيـة مجـرى الجمـل، وكيفيـة نظمهـا واتصـال بعضـها بـبعض، ومعرفـة أحوالهـا فـي الكـلام إن معظـم الوحـدات اللغويـة تقـع فـي مجـاورة وحـدات أخـرى، وأن معـاني هـذه الوحـدات لا يمكـن وصـفها أو تحديـدها إلا بملاحظـة الوحـدات الأخـرى المجـاورة لهـا، وهـذا مـا يعـرف بالسـياق اللغـوي، إذ هـو معنـى الكلمـة فـي الجملـة أو العبـارة، أو بمعنـى آخـر هـو المعنـى الـذي يفهـم مـن الكلمـة بـين الكلمـات السـابقة واللاحقـة لهـا، ويتمثـل ذلـك فـي العلاقـات الصـوتية، والصـرفية، والنحويـة، والدلاليـة بـين هـذه الكلمـات علـى مسـتوى التركيـب فهنـاك كلمـات يختلـف معناهـا بـاختلاف الكلمـات التـي تكـوّن معهـا جملـة أو عبـارة، ونسـتطيع أن نمثـل لـذلك بكلمـة (ضـرب) فهـي تعنـي أطلـق فـي (ضـرب مـدفعاً) وعاقـب فـي (ضـرب الشـرطي المتظـاهر) وصـاغ فـي (ضـرب العملـة) وأقـام فـي (ضـرب لـه قبـة) وسـاق فـي (ضـرب لـه مثـلاً). والسـياق وحـده هـو الـذي يحـدد المعنـى المقصـود مـن هـذه المعـاني، كمـا أنهـا قـد تـأتي فـي تعبيـر فتفيـد بالتضـام غيـر

[1] ـ ينظر: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي. منقور عبد الجليل. ص72.

ذلك، كإفادة معنى الارتباك في عبارة (ضرب أخماساً في أسداس) [1] والندم في عبارة (ضرب كفا بكف) والإهمال في عبارة (ضرب به عرض الحائط).

إن تعدد المفاهيم التي يدل عليها اللفظ، تعني أن له معنى مركزيا هو (النواة) كفعل (الضرب) في المثال السابق، ومعاني هامشية ثانوية اكتسبها بفعل دورانه في أنساق كلامية مختلفة، مما جعل المعنى المركزي يدور في فلك المعاني الثانوية التي لا تفاضل بينها. وعلى هذا فإن دراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها، فيتعدل معنى الكلمة تبعاً لهذه السياقات، أو تبعاً لتوزعها اللغوي. وقد توصل العلماء إلى التمييز بين أربعة أنواع من السياقات:

**1- السياق اللغوي -**

هو المحيط الذي تقع فيه الوحدة اللغوية سواء أكانت كلمة أو جملة في إطار من العناصر اللغوية أو غير اللغوية، حيث تتغير دلالة الكلمة بتغيير التركيب اللغوي، ففي قوله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (العلماء) هم أهل الخشية والخوف من الله. واسم الجلالة (الله): مفعول مقدم. وفائدة تقديم المفعول هنا: حصر الفاعلية، أي أن الله تعالى لا يخشاه إلا العلماء ولو قدم الفاعل لاختلف المعنى ولصار: لا يخشى العلماء إلا الله.

ولذلك فإن الترتيب له دورٌ في المعنى، وليس الأمر مجرد ضرب من الترف النظمي أو نوع من أنواع التوافق الموسيقي.

" تنحى الأسد جانبا. بحث عن صخرة وجلس فوقها رافعا كلتا أذنيه. كان ينصت أحيانا عندما يريد، ويريد دائما بعد أن ينصت"[1].

---

[1] . ينظر:نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، عبد النعيم خليل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2007م، ص ص33،34 . ونظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص68. وعناصر تحقيق الدلالة في العربية، صائل شديد، ص172.

"أمام الكهف الذي يملكه هوشي منه، تجمع الزعماء على عجل ومن دون نظام في الترتيب"[2]. فالأصل تجمع الزعماء على عجل ومن دون نظام في الترتيب، أمام الكهف الذي يملكه هوشي منه.

2- السياق العاطفي -

وهو السياق الذي يحدد دلالة الكلمة أو التركيب، عن طريق قوة أو ضعف الانفعال المصاحب للفظ، فتختلف كلمتين في دلالتهما، بالرغم من اشتراكهما في أصل المعنى مثل اختلاف كلمتي (اغتال) و(قتل). " زعموا أن الحاج الزروق الذي لم يكن يدخل إلى بيته حتى الذبان الذكر عاد ذات مرة... ووجد أن امرأته قد خبطها ملك الجن بنفسه، أعني وجد في بيتهم رجلا "[3]. كلمة (خبطها) تعني أصابها، وهذه الكلمة يصاحبها انفعال يجعلها تبدو أشد بأساً من الضرب والإصابة، وهي تُطلق على ما يُعتقد من مس الشيطان للبشر، لكي يصل إلى الذهن مدى بشاعة الفعل والفاعل.

3- سياق الموقف (الحال) -

ويسمى سياق المقام، وهو يعني الموقف الخارجي الذي تقع فيه الكلمة، ويتكون هذا الموقف من: طبيعة المتكلم والسامع، والعلاقة التي تربطهما، ومجال الحديث، والزمان والمكان. فتتغير دلالة الكلمة تبعاً لتغير الموقف أو المقام، فقد يدعو المقام إلى استخدام كلمة بدل أخرى، تشتركان معاً في أصل المعنى، ومن هنا قال البلاغيون: لكل مقام

---

1- الحيوانات، الصادق النيهوم،ص8.
2- الفرد، الصادق النيهوم، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس،الطبعة الأولى، 1983م، ص35.
3- تحية طيبة وبعد، الصادق النيهوم،ص17.

مقال. يقول النيهوم: " ثلج..كل الطرق مغطاة بالثلج. والنوارس وصلت لتوها من أقصى القطب، وطفقت تذرع الميناء بحثا عن سفينة ذاهبة إلى إفريقيا "[1]. تصلنا عبر هذا السياق إيحاءات بالنهاية، نهاية النهار التي يوحي بها مآب النوارس من أقصى القطب، حيث لا حياة في أقصى القطب، وتكوم الثلج على الطرق يعني صعوبة مواصلة السير عليها. فكما يوضح سياق الحال معنى اللفظ، يسد أيضا في الدلالة مسد كلام محذوف، وقد سد في هذا المثال وصف الراني للموقف مسد الفعل المحذوف، فقد نقل إلينا المتكلم نهاية طموحاته، وشعوره إثر ذلك بالإحباط، وفقدان الأمل.

إ- السياق الثقافي الاجتماعي -

وهو المحيط الذي تعيش فيه الكلمة، فتأخذ ضمنه دلالة معينة، حيث تخضع القيم الثقافية لطابع الخصوصية، الذي يلون كل نظام لغوي بسمة ثقافية تميزه عن غيره من الأنظمة.[2] الأنظمة.[2] فيكشف هذا السياق عن المعنى الذي توحي به الكلمة أو الجملة، والمرتبط بحضارة معينة أو مجتمع معين.

ف "كلمة (السماء) التي وردت في معظم النصوص الدينية. فالكلمة في ذاتها لا تعني الفضاء الأزرق الممتد فوق رؤوسنا. ولكن ذلك المعنى فرض على الكلمة بواسطة مفهومنا الثقافي السائد(...) ونحن نفهم هذا المعنى وحده عندما نسمع الكلمة أو نقرأها دون أن نفطن أن هذا التصور هو حصيلة اجتهادنا الفكري(...) فإذا زادت حصيلتنا من المعرفة وتعلمنا أن غطاء العالم الأزرق مجرد غلاف جوي يقع على

[1] - نوارس الشوق والغربة، بعض من رسائل الصادق النيهوم، سالم الكبتي، ص117.
[2] - ينظر: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل،ص72،73.

ارتفاع قريب من الأرض فإن مفهوم كلمة السماء يتغير تلقائيا"[1]. في إشارة إلى أن الكلمة شيء ومفهوم الكلمة شيء آخر مختلف كليا، وأن تفسير النص اللغوي، خاضع لمفيومات الثقافة السائدة، وأن الكلمة لا تعني نفس الشيء في كل مكان وزمان، بل يتغير معناها تبعاً لزيادة المعرفة الإنسانية، حتى في المكان نفسه.

وقد تبنى المنهج السياقي أو النظرية السياقية كثير من علماء اللغة، أمثال هاليداي (halliday) ولايونز (Lyons) وأولمن (Ullmann) وغيرهم الكثير، إلا أن زعيم هذا الاتجاه هو العالم اللغوي فيرث (Firth) مؤسس المدرسة الانجليزية في علم اللغة الحديث، والذي يولي أهمية قصوى للوظيفة الاجتماعية للغة، ويرى أن معنى الكلمة لا ينكشف إلا من خلال وضعها في سياقاتٍ مختلفة، وأن معناها هو استعمالها أو الدور الذي تؤديه. وهناك من يقول أن فيرث قد التقط فكرته من عالم اجتماع بولندي المولد بريطاني الأصل هو مالينوفسكي (Malinowski) الذي صادفته صعاب كثيرة في ترجمته لبعض كلمات وجمل المجتمعات البدائية، التي كان يدرسها، ووجد أن تحديد معنى الكلمة أو الجملة يتطلب أخذ سياقاتها في الاعتبار.

إلا أن ذلك لا يعني أن قضية السياق اكتشاف لغوي حديث، إذ هي من القضايا الدلالية التي شغل بها الأقدمون، وخصها البعض منهم بالدراسة. فقد اهتم الهنود بتوضيح معاني بعض الكلمات في سياقاتها (الفيدا)، وربط الكلمة بأصلها الاشتقاقي، وتطرقوا إلى بعض الأحداث الاجتماعية لهذه الكلمات، وفي ذلك إشارة إلى السياق اللغوي وسياق الحال أو سياق المقام، كما دعوا إلى وضع الكلمة في سياقها إذا أريد معرفة معناها ليسهل اشتقاقها،

---

1. ثلاث كلمات تقال بأمثلة عن مشكلة التراث العربي، الصادق النيهوم،ص88.

وفي ذلك ربطٌ بين السياق والدلالة، وهو ما يدعو إليه المحدثون وتقوم عليه النظرية السياقية.[1]

كما جاءت إشارة اليونان إلى السياق منبثقة من قضاياهم الفلسفية، فقد اتفقت نظرتهم للسياق مع المحدثين في الوسيلة ولكنها اختلفت معهم في الهدف، فهي لم تأت من منطلق البحث عن الدلالة كما هو عند المحدثين، وإنما كان الهدف منها البحث عن أرفع الأساليب التي ينال بها الخطيب رضا سامعيه. وقد كان السياق اللغوي عندهم يقوم أساسا على العلاقة بين الكلمات والعبارات بعضها ببعض، على مستوى النص المكتوب أو المنطوق، كما تحدثوا عن كثير من العناصر التي تتصل بسياق الحال، كالسامع والمتكلم، والزمان والمكان، والحالة النفسية التي يكون عليها كل من المتكلم والسامع والملابسات التي تحيط بالحدث اللغوي.

أما العرب فلم يكن السياق مستبعداً في دراساتهم اللغوية النحوية منها والبلاغية، فلم يعد النحو ذلك العلم الذي يبحث في أحوال أواخر الكلمات إعرابا وبناءً، وإنما هو عند المحدثين شبكة من العلاقات السياقية التي تقوم كل علاقة منها عند وضوحها مقام القرينة المعنوية، قد يعتمد وضوحها على التآخي بينها وبين القرائن اللفظية في السياق فإذا وضع ذلك في مقابل ما تعنيه النظرية السياقية بكل عناصرها من سياق لغوي وسياق صوتي، وسياق اجتماعي، أو ما يسمى بسياق الحال أو المقام، فإننا نجد أن النحو بهذا المفهوم - في الدرس اللغوي الحديث - وطيد العلاقة بما تنادي به النظرية السياقية، بل هو دراسة سياقية متكاملة الجوانب.

كذلك البلاغيون فقد وردت كلمة المقام في أقدم آثارهم العلمية، وتناولها الكثير منهم بعد ذلك، على أن المقام هو كل ما يعين على فهم الحدث اللغوي، ويساعد على إبراز المعنى،

---

[1] - ينظر: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، عبد النعم خليل، ص100.

موجهين جل حديثهم في المقام عن السياق اللغوي، أو تركيب العبارة أو الجملة، من منطلق عنايتهم بالصحة الخارجية للكلام في معظم مناهج البحث اللغوي لديهم، وهم بذلك يلتقون مع أصحاب هذه النظرية من حيث أهمية السياق - ولو أنهم اختلفوا في تحديده - فالسياق عند هؤلاء ليس مجرد مكان يلقى فيه الكلام، وإنما هو إطار اجتماعي متكامل العناصر، يشمل الموقف بمن فيه من متكلمين وسامعين وعلاقاتهم ببعض، ويشمل كذلك ما في الموقف من أشياء وموضوعات قد تفيد في فهم الكلام، وهناك أيضاً الكلام نفسه الذي هو عنصرٌ واحد من عناصر المسرح اللغوي بأكمله، ولا يتم فيمه إلا من خلال هذا الإطار بما فيه من شخوص، وديكور، وعدد وآلات، ودون إهمال لحركات الجسم وإشاراته وإيماءاته[1].

ومفسرو القرآن الكريم أولوا السياق أهمية كبرى، في شرحهم وإيضاحهم لمفرداته وتعبيراته، فلم يقتصروا في تفسيرهم للآيات على المفردات، ولكنهم تطرقوا إلى النظر في السياق الذي وردت فيه الكلمة، لأن معنى الكلمة مفردة يختلف أحياناً عن معناها مركبة، فكانوا في كثير من الأحيان لا يتمسكون بمطلق مدلول اللفظ، وإنما يتجهون إلى السياق العام بكل أبعاده وعناصره، يستنطقون النصوص ليصلوا بذلك إلى المعنى الدلالي الكامل، وهو غاية علم التفسير عندهم، ومما يؤكد ذلك اشتمال قضاياهم التفسيرية على ما يظهر أهمية السياق في التفسير، كاختلاف المعنى الدلالي عن المعنى المعجمي لبعض الكلمات بحسب السياق الذي وردت فيه، ووجود أكثر من معنى للفظ الواحد، لا يتضح إلا بالنظر إلى سياقه، وتبادل الوظائف الصرفية لبعض الصيغ، لا يوضحها سوى النظر إلى السياق. وغير ذلك من القضايا التي تبرهن عن إدراكهم لأهمية السياق في تحديد الدلالة.

---

1 - ينظر: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، عبد المنعم خليل، ص:111،166،165.

و يمكننا التمثيل لقضية اختلاف المعنى الدلالي عن المعنى المعجمي، بكلمة (ظلم) التي فسرها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في قوله تعالى: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)[1] بمعنى الشرك، وهو تفسير بعيد عن معناها المعجمي الذي هو (الاعتداء). وهذا استنادا إلى السياق اللغوي في آية أخرى (إن الشرك لظلم عظيم)[2].

ومثل لقضية اشتمال اللفظ اللغوي على أكثر من معنى، ب (الصلاة) فقد ورد هذا اللفظ كثيرا في القرآن الكريم مشتملا على معنى مختلف في كل مرة، فجاء بمعنى العبادة المفروضة على المسلمين في الآية الكريمة (ربنا ليقيموا الصلاة).[3] وبمعنى الدعاء في قوله تعالى: (وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم) أي اعطف عليهم. وبمعنى الرحمة والمغفرة في قوله تعالى: (إن الله وملائكته يصلون على النبي)[4]. وبمعنى الدين في قوله تعالى: (أصلاتك تأمرك بأن نترك ما يعبد آباؤنا)[5].

وأما قضية تبادل الوظائف الصرفية لبعض الصيغ، فيمكننا أن نمثل لها بصيغة (فعيل) التي تدل على الكثرة أو المبالغة، فقد أريد بها صيغة فاعل التي تدل على من قام بالفعل في قوله تعالى: (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير)[6].

وتروي كتب اللغة أن ابن عباس قد فسر بعض المفردات القرآنية على أساس من السياق اللغوي، فكان يأتي بمعنى الكلمة المعجمي، ثم يحدد معناها الدقيق بإيرادها في بيت من الشعر، إذ الكلمة في خارج سياقها تحتمل أكثر من معنى، فتحتاج إلى سياق لغوي يحدد المقصود بها، وإلى عوامل أخرى يحملها سياق الحال بكل ما فيه، فالمعنى هو مجموعة

---

[1] ـ الأنعام 82.
[2] ـ لقمان 13.
[3] إبراهيم 37.
[4] ـ الأحزاب 56.
[5] ـ هود87.
[6] ـ البقرة 20.

من العلاقات، والخصائص والمميزات اللغوية، التي يمكننا التعرف عليها في موقف معين يحدده لنا السياق.[1]

وإذا أمكن لاسم أن يتخذ معاني كثيرة فيذه المعاني تكون مضمرة، إلا أنه لن يتأتى سوى معنى واحد في سياق معين، فالألفاظ تكتسب معناها اعتماداً على السياق الذي ترد فيه، حيث تتعدد الدلالات بتعدد السياقات، وهذا ما يراه فندرس "إننا نكون ضحايا الانخداع إذا قلنا أن للكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد، إذ لا يطفو على الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعينه سياق النص، أما المعاني الأخرى فتمحى وتتبدد ولا توجد إطلاقا"[2]

فالكلمة - إذا- في السياق معنى خاص، إلا أنه تتشكل في الآن ذاته تداعيات خارجة عن نطاق المفهوم المعنى، والتي تلونه دون أن تفسده، ففي الجملة "رجلا طيب القلب لم يسرق في حياته قط. أغراه الشيطان ذات مرة وسرق بيضة"[3]. تتخذ الكلمة (طيب) معنى صاحب القلب الأبيض الذي لا يحمل خبثا ولا غشا، في سياقها الخاص هذا ولكن الكلمة توحي في الوقت نفسه - وعبر التداعيات ببعض الأفكار الهزلية - بالاستهزاء والتهكم، وهي التداعيات التي يسميها بعض اللغويون (قيما) كونها خارجة عن نطاق الدلالة، ويرون أن هذه القيم تتنوع بين القيم التعبيرية، التي تمثلها الكلمات وطرائق التعبير عن الانفعالات، والرغبات، والنوايا، والأحكام، التي يصدرها المتكلم، وعلى ذلك أمكننا استنتاج مقصد هزلي وانتقادي من وراء كلمة (طيب).

---

1 - ينظر: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، عبد المنعم خليل، ص99- 227.
2 - اللغة، جوزيف فندرس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،الطبعة الأولى، 1950، ص228.
3 - تحية طيبة، الصادق النيهوم، ص15.

والقيم الاجتماعية وهي إيحاء هذه الكلمة بمحيط ما، حيث يقتصر استعمالها على قاطنيه، وبعضهم لا يستخدم هذه العبارة إلا في موقف معين، فهي مرتبطة بالجماعة وبالسياق الاجتماعي اللذين صدرت عنهما.

والقيم التعبيرية هي استطرادات تواكب المعنى، فهي كما قلنا تداعيات خارجة عن نطاق الدلالة، وذات أصل طبيعي، ناشئة من خلال المشابهة والاستعارة.

ولعل الارتباط الوثيق بين كلمات اللغة ومشاعر المتكلمين، هو ما يجعل من التركيز على الدلالات الهامشية للتعبيرات اللغوية، طريقة ناجحة في تحقيق غرض المتكلم ونقصد بالدلالات الهامشية تلك الإيحاءات المرتبطة بالكلمة بسبب عوامل شخصية خاصة بمستخدم الكلمة سواء كان مرسلاً أم متلقيا.

وتبرز القيم التعبيرية في النصوص الأدبية، لأن لغتها فردية خاصة، تصدر عن اختيار واع، ومن ثمّ كانت خروجا عن المألوف، كما أنها تكشف عن الطاقات التعبيرية (الكامنة) في اللغة العادية التي لا تظهر إلا باستخدام الفرد لها استخداماً متميزاً.

هذه التداعيات طبيعية عفوية، ولكن حالما تم الاعتراف بمقدرتها الإيحائية، فإنه يمكن لها أن تصبح أسلوب كتابة، أو وسيلة تعبير عن مظهر خاص للمعنى[1].

فالمتكلم يتأثر في نظمه بما توحي له الألفاظ والتراكيب اللغوية على السواء، من دلالات فردية، وكذلك المتلقي يفهم الكلام تبعاً لذلك، ومتى ما فارقت تلك الدلالات الهامشية الفردية كليهما (المتكلم والمتلقي) فإن المعاني ثابتة.

---

1 - ينظر:الوظيفة الدلالية في ضوء مناهج اللسانيات، سامي عوض و هند عارمة، بحث نشر في 2006/5/18م، بمجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد(28) العدد (1) 2006م.

# المبحث الثاني

# الدلالة عند المرسل

إن قدرة الكلمات على أداء وظيفتها لا تتأثر بحالٍ من الأحوال بعدد المعاني المختلفة التي قدر لها أن تحملها، بدليل أن بعض هذه الكلمات تستطيع أن تقوم بعشرات الوظائف بيسر وسهولة. ولو نظرنا إلى الحياة التي نحياها لتبين بوضوح أننا أكثر من أي وقتٍ مضى نعيش عصر الكلمة، منطوقة كانت أم مكتوبة، فنحن باختصار لا نستطيع أن نعيش في مجتمع ما من دون استعمال اللغة فهماً وإفهاماً.

واللغة بما أنها نظام علامات تخدم إيصال أفكارنا، بأن توحي للآخر بصور الأشياء المفهومية التي تتشكل في أذهاننا، لذلك لا تُدرس إلا من خلال هذه العلامات.

"ومن الأمور المسلم بها أن النشاط الكلامي ذا الدلالة الكاملة لا يتكون من مفرداتٍ فحسب، بل يتكون من أحداثٍ كلامية وامتدادات نطقية تكون جملاً تتحدد معالمها بوقفاتٍ أو بسكتاتٍ، أو نحو ذلك؛ فإن علم الدلالة اللساني (semantics) لا يقف عند معاني الكلمات المفردة، بل يتعداها إلى دراسة معنى الجملة، وإلى كل شكل لغوي له معنى، وهذا يعني أن يشرح عالم اللغة كيف تحلل كل لغة خبرة الإنسان إلى وحدات حاملة للمعنى".[1]

إن أية لغة قادرة بطريقةٍ مباشرة أو غير مباشرة أن تحمل جميع المعاني، كما أن قانون التطور والتغير يفعل فعله بشكل مستمر، لكي تصبح اللغة قادرة على جميع ما يحتاج مجتمع معين أن يعبر عنه. أما الأسلوب المضلل لاستغلال فكرة المعنى المتعدد والتلاعب بالألفاظ، فيمكن مقاومته إذا عرف السامع أو القارئ غرض منتج القول وفهم كيف يحصل المعنى. "لابد من معرفة ماهية المتحدث (...) ذلك أن المتكلم عند تكلمه تشترك عدة عوامل في صياغة كلامه: نفسية، وجسدية، وفكرية، وغير ذلك من أمور يصعب الإحاطة بها، ولكن نحاول أن نقترب منها لندرك حقيقة المعنى في أجزائه وكليته،

---

1 ـ الوظيفة الدلالية في ضوء مناهج اللسانيات. سامي عوض وهند عكرمة.

وفي نهاية الأمر الدلالة المقصودة، وإن أمكن لي أن أتعرف على المتكلم من حيث تمكنه من اللغة، وقدرته على التعبير الكلامي، فهذا أدعى إلى فهمه بصورة أدق"[1].

ولكي يندمج المتلقي في سياق النص، ينبغي عليه في أحيان كثيرة أن يتمكن من الإحاطة ما أمكن بالمرتكزات الفكرية والثقافية الخاصة بصاحب النص المقروء فالتناص ضرورة حتمية لتعبير الذات عن نفسها، وحوار الذات لا يمكن أن يكون مع نفسها، لأنها حينئذ لن تبرح عن أن تكون هي في، لذا تعتبر اللغة والكتابة عن حركة الذات وتفاعلها مع الغير، وهو تفاعل يترجم بحركة اختلافيه: اختلاف الذات عن نفسها حينما تتكلم، واختلاف القراء عن بعضهم البعض، واختلافهم جميعاً عن النص المقروء، وهذا ما يساهم في توليد المعاني من خلال تعاقب القراءات[2].

" فالدلالة في النصوص الفلسفية والأدبية على السواء تتميز بوضعية خاصة هي التشتت، ولذلك فعملية تجميع المعنى، التي هي من مهمة القارئ، تخضع لطابع الاختلاف، الذي يميز القراء عن بعضهم البعض كما يميزهم جميعاً عن الكاتب".[3]

ونظراً لأن مشاكل التواصل اللغوي تبلغ حداً من التعقيد بسبب هيمنة الأنساق اللغوية والمؤثرات الفكرية، والاجتماعية، والإيديولوجية، في نطاق لغة التخاطب اليومي، فإن ذلك التعقيد يتضاعف إذا ما انتقلنا إلى مستوى لغة النص المكتوب، لعدم قدرة الذات الإنسانية على أن تكون حاضرة لذاتها بشكل أقوى إلا من خلال اللغة. فيتم تثبيت الذات على الكتابة باعتبارها تمظهراً ضرورياً لها، وهو ما يجعل فهم النصوص يقوم على الحضور الدائم للمعنى المحدد سلفاً من قبل ذلك التمركز الذاتي لصاحب النص.

---

[1] ـ عناصر تحقيق الدلالة في الغربية، صلاح رشدي شديد، ص174.
[2] ـ القراءات المتعارف عليها للنص، قراءة سريعة لمعرفة ماهية الموضوع، قراءة متأنية لفهم الموضوع، وقراءة دقيقة للاستنباط والتأويل بغرض تكوين وجهة نظر حول الموضوع.
[3] ـ القراءة وتوليد الدلالة، حميد لحمداني، ص30.

"أردت أن أجعل كلماتي تضيء..وقد أعطيتها مهلة كاملة لأنني ظننت أن الحروف مثل ثمار الشماري تحتاج إلى وقت لكي تنضج..وعندما قرأت ذات مرة أن الكلمات تتغذى على التجارب مرعت كالمجنون أجوب الأرض والأحداث وأبحث عن (التجارب) (...)عبر آلاف الأميال الموجعة، وبعد أن قطعت كوما كاملا من السنين المقززة اكتشفت فجأة أن ذلك كان خداعا سخيفا لا قيمة له..كان كذبا مثل أكاذيب الحواة والأطفال ".[1]

ففي الحقيقة إن الضوء الذي يريده النيهوم لكلماته تصنعه ثلاث نقاط أكد عليها بعد ذلك قائلا: ضع الصور بجانب بعضها، واكتب بأكثر الطرق اختصارا، وتذكر أن القارئ آلة تضارع الحياة في تعقيدها.

وبما أن الدلالة الهامشية الفردية هي مجموع الإيحاءات المقترنة بالكلمة، والتي تنتجها عوامل ذاتية تخص مستخدم الكلمة مرسلا كان أم متلقيا، لذلك يختلف الناس في تأويل كلمات اللغة وتقدير إيحاءاتها، فليس بالوسع تحديد الدلالات الهامشية التي يرمي إليها المرسل متكلما كان أم كاتبا، إلا بالإعتماد على مكونات سياق النص فـ "قوة المنطوق الإنجازية، هي ما يعمد إليه المستمع، لا ما يقصد إليه المتكلم، وذلك أن أحدا من محللي الخطاب لا يمكنه أبدا أن يتأكد من مقصد المتكلم، لأنه لا يقبل الفحص إذ يربط مقصد المتكلم بالسياق، فيوضح السياق ما يفعله المتكلم على نحو أفضل"[2].

ولذلك تنوعت طرق تلقي وتأويل الخطاب - الأدبي والديني والفلسفي وغيرها - فكانت هناك مرحلة سادت فيها القصدية، وفي رفض التأويل أو إيقافه عند نقطة حرجة لا يجوز تخطيها، وتم تركيز القراءة على السياقات التاريخية والثقافية للنصوص وللمؤلفين، وهو ما أظهر للوجود المناهج التي ينصب اهتمامها على صلة النص بالمرجعيات الحاضنة له،

---

[1] - نوارس الشوق والغربة، سالم الكبتي، ص53.
[2] - النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، الطبعة الأولى، 2005م. ص289.

كـالمنهج الاجتمـاعي والتـاريخي والنفـسي. ثـم مرحلـة الموضـوعية، التـي أهملـت الـذات والمقصـدية، ونقلـت القـراءة إلـى النصـوص، فعزلتهـا عـن تلـك المرجيـات، وانخرطـت فـي تحليل السمات الخاصـة بهـا، وجـرى استبعاد كل مـا لـه صلة بالسياق والمؤلـف، ومثلـت هـذه المرحلـة المنـاهج الداخليـة كالشـكلانية والبنيويـة وعلـى إثـر ذلـك أهمـل التأويـل لصـالح المعاينـة وإدراك القـوانين، أمـا المرحلـة الثالثـة فقد ركـزت علـى كيفيـة تلقـي النص، واعتبـرت المتلقـي هـو الـذي يعيـد إنتـاج الـنص مستفيدا مـن تجربتـه القرائيـة، ومـن قيمـة الـنص، وسياقه الخـارجي، وهـذه المرحلـة أظهـرت منـاهج أخـرى كنظريـات التلقـي والاسـتقبال والاسـتجابة، و أعـادت الاعتبـار لقضـية التأويـل مـن خـلال الاهتمـام بـالمؤول، لأنـه فـي المرحلـة الأولـى كانـت سـلطة صـاحب الـنص شـبه مطلقـة، وفـي المرحلـة الثانيـة تـم تهميش صـاحب الـنص أو ألغـي تمامـاً وكـذلك لـم يلتفت إلـى المـؤول لصـالح موضـوعية حرفيـة، لكـن فـي هـذه المرحلـة الأخيرة أعطي الاعتبار للقارئ ولتأويلاته.

أمـا مـن الناحيـة الموضـوعية، فيصـعب تقـديم وصـف نهـائي لعلاقـة القـارئ بـالنص، مجـردة مـن الزمـان والمكـان، لأن العناصـر المكونـة للعمليـة الأدبيـة والفكريـة - وهـي المؤلـف وبيئتـه، والـنص وخصـائصـه، والمتلقـي وسـياقه الثقـافي - فـي حالـة حـراك دائـم، والأصـعب مـن ذلـك هـو الحكـم علـى أي مـن القـراءات بأنهـا الصـائبة، فـالأولى تضـفي قيمـة علـى السياق بمـا يجعـل الـنص علامـة دالـة علـى أهميـة الحاضـنة الاجتماعيـة لـه، تتجلـى فـي إحالتـه علـى الخلفيـة التاريخيـة والواقعيـة الخاصـة بعصـره وبمؤلفـه، والقـراءة الثانيـة تنصـرف إلـى جمالياتـه الداخليـة، وكشـف مظـاهره الخاصـة، مـن ناحيـة الأسـلوب، والبنـاء والدلالـة، أمـا الثالثـة

فتحاول التوفيق بين مضمرات النص ومزاياه الكامنة فيه واستعدادات المتلقي التي هي خلاصة ثقافته وسياق عصره[1].

واحتل مفهوم القصد أو الغرض كذلك مكانة محورية في نظرية النظم الجرجانية، إلا أن المتكلم عند الجرجاني يملك زمام التحديد المسبق للمعاني المراد تبليغها للقارئ، ولا يبقى من شأن للقارئ إلا فهم وإدراك ما هو موجود سلفا من معانٍ في النصوص. بيد أنه يخفف من وطأة تحجيم دور القارئ، بتمييزه بين القراء البسطاء الذين لا يفهمون من النصوص إلا المقاصد الظاهرة، والقراء الأذكياء الذين يغوصون في الأعماق لالتقاط المعاني العميقة الموجودة بدورها سلفاً في النصوص.

وبالرغم مما يبدو من أن الجرجاني يلزم القارئ بأن يكون خاضعاً لمقصدية المتكلم، إلا أنه يرى مع ذلك أن عملية القراءة ليست سلبية إلى هذا الحد، وأنه ثمة ضرورة إلى أن يتوفر القراء على ملكات فهم عالية، لأن استخدام التخييل في الكتابة الإبداعية على الأخص، يستدعي من القارئ أن يكون ذا ملكات عالية في الفهم والتأويل لبلوغ المقاصد العميقة وتجاوز كل ما هو في حكم المعاني السطحية. هكذا نجده يتحدث عن المعاني الجيدة وكأنها الجواهر في الأصداف، وأن الغوص على الأصداف وبلوغها لا يحصل إلا لأهل المعرفة والتأمل والنظر.[2]

كما أننا نجد في الوقت الحالي اتجاها حاسما في الثقافة العالمية نحو غلبة التأويل، أي نحو الحضور الأكبر للقارئ دون أن يحصل الغياب الكلي للنص، ولا للمؤلف. لأن الأبحاث المهتمة وإن أولت اهتماما كبيرا بما توصل إليه البحث في حيل النص الأدبي الداخلية

---

1 ـ ينظر: القراءة وتوليد الدلالة، حميد لحمداني، ص80، و القراءة، عبد الله إبراهيم، صحيفة الراية، يومية سياسية تصدر عن شركة الخليج للنشر والطباعة، نشر المقال بتاريخ 18-8-2005م.

2 ـ ينظر: أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1978م، ص119.

2 ـ السميوطيقية هي البحث في تكوينات وتشكلات المعنى، وهي باختصار تعني ( التعبير والمحتوى ).

والإمكانات السميوطيقية للتأويل، إلا أنها لم تقبل أن تكون الكلمة الأولى للنص أو لمؤلف العمل الأدبي باعتباره منجز تلك الإمكانات الداخلية نفسها، لأن عملية التلقي ليست بهذه البساطة التي يظهر فيها المؤول الخارجي ، أي المتلقي سلبياً، بحيث يكتفي بالتلقي دون أن يكون بينه وبين النص تفاعل يذكر.

ولذلك ليس من طريقة أمامنا لتحدد الدلالات الهامشية التي يرمي إليها الكاتب، إلا من خلال استغلال نظرية التلقي، التي ترى أن أهم شيء في عملية الأدب هي تلك المشاركة بين النص الذي ألفه المبدع، والقارئ المتلقي. وأن الفهم الحقيقي للأدب ينطلق من موقعة القارئ في مكانه الحقيقي، وإعادة الاعتبار له باعتباره هو المرسل إليه والمستقبل للنص ومستهلكه، وهو كذلك القارئ الحقيقي له تلذذاً ونقداً وتفاعلاً وحواراً، فالمؤلف ما هو إلا قارئ للأعمال السابقة، وهذا ما يجعل النصاص يلغي أبوة النصوص ومالكيها الأصليين، وترى أن للعمل الأدبي قطبين: قطباً فنياً يكمن في النص الذي يخلقه المؤلف من خلال البناء اللغوي وتنسيجه بالدلالات المضمونية قصد تبليغ القارئ بحمولات النص المعرفية والإيديولوجية، أي أن هذا القطب يحمل معنى ودلالة وبناء شكلياً، وقطباً جمالياً يكمن في عملية القراءة التي تخرج النص من حالته المجردة إلى حالته الملموسة، أي بتحقيقه بصرياً وذهنياً عبر استيعاب النص وفهمه وتأويله. يقول النيهوم: "وينكسر الليل قطعتين تحت وطأة الكلمة القبيحة، وينزف دما أسود من نجومه البلهاء، وتولد الشمس بعد ليلة المخاض ويتنفس الصبح مثل بقية الأطفال برائحة اللبن، وتطلع الجريدة اليومية، وتفتح المآذن أفواهها وتنقل إلى هذا العالم الغارق في حلمه وبوله نبأ عاجلا من أقصى السموات: الله أكبر.. يقول الخبر.."[2].

---

[2] - تحية طيبة وبعد، الصادق النيهوم، ص30.

إن جمالية هذا النص وما فعله الكاتب من بناء شكلي فيه، وما تنطوي عليه عباراته من دلالات هامشية تشد القارئ. فالقراءة الأولى لهذا النص أنه عبارات تدل على بداية يوم من أيام الدنيا، ولكن القراءة المتمعنة بإمكانها أن تخرج ما تحويه كل عبارة على حدة (ينكسر الليل تحت وطأة الكلمة القبيحة وينزف دماً أسود من نجومه البلهاء..) فالليل هو فترة من الزمن قاسية مظلمة مليئة بالقبح. و(تولد الشمس بعد ليلة المخاض وتتنفس الصبح مثل بقية الأطفال برائحة اللبن) فالشمس هي الأمل وهذا الأمل لم يأت ببساطة وإنما جاء بعملية ولادة، فالشمس أعلنت عن صبح تنفس كالمولود برائحة اللبن. (وتطلع الجريدة اليومية وتفتح المآذن أفواهها) فطلوع الجريدة اليومية وصوت المآذن تأكيد على أن الصبح قد أصبح، وأن الليل قد انتهى بالفعل، (وتنقل إلى هذا العالم الغارق في حلمه وبوله نبأ عاجلا من أقصى السموات: الله أكبر.. يقول الخبر..) فهذا الخبر والذي مفاده (الله أكبر) كفيل بأن ينتشل الإنسان من جبنه وخوفه، ليقول له أن (الله أكبر) ممن تخاف وأقدر مما تخشى.

يقوم التأويل بدور مهم في استخلاص صورة المعنى المتخيل عبر سبر أغوار النص وتخمين دلالاته، والبحث عن المعاني الخفية والواضحة عبر ملء الفراغات، للحصول على مقصود النص وتأويله انطلاقاً من تجربة القارئ الخيالية والواقعية، كما يجعل التأويل من القراءة فعلاً حدثياً نسبياً لا يدعي امتلاك الحقيقة المطلقة أو الوحيدة المتعالية على الزمان والمكان، ولكنه يكمل إبداع العمل الأدبي من خلال المشاركة التواصلية الفعالة بين المؤلف والنص، والجمهور القارئ.

"طائر البطريق مخلوق محافظ يحب النظام والعشرة الطيبة ويعيش طوال حياته مرتديا بدلة السهرة على حافة التلال المقفرة في القارة القطبية وعندما يعقره الجوع

البدائي يعود للمحيط بحثا عن طعامه من صغار الأسماك والبراغيث ويغطس وراءها في بدلة السهرة أيضا"[1]. إن طائر البطريق في هذا النص مثال للنظام والاهتمام بالمظهر. ولكن الكاتب يتابع مباشرة "فالعادة المتبعة هنا أن يحتفظ المواطن بلياقة مظهره تحت كل الظروف ويغلق أزرار قميصه إلى حافة الياقة ويثبت رباط عنقه تحت معطفه الأسود ثم يغطس تحت الماء لكي ينال برغوثة "[2]. نستشعر إيحاء إلى مجتمع بشري باستخدام كلمة مواطن. "حتى منتصف الصيف الماضي، إذ ذاك حدثت الكارثة وراء المحيط، ورأت التلال القطبية بطريقا كامل النمو يتكلم عاريا...ويطارد البراغيث ويأكلها بأصابعه أيضا كان بطريقا حقيقيا لا شك فيه، ولكنه كان يتصرف مثل أحد الهيبز البلهاء الذين يذرعون شوارع سان فرانسيسكو وكان "[3]. يزداد الإيحاء إلى مجتمع بشري، فهل يشبه البطريق هؤلاء المتسكعين فعلا؟ ويستمر النص: " وقد غطس وراء البراغيث عاريا كما ولدته أمه وشرع يطاردها على مشهد من المحيط والتلال المقفرة وعندما أمسك أحدها نزع رأسه بأصابعه والتهمه نيئا، فيما كانت بقية البراغيث تراقبه واجمة ميدية أقصى ما لديها من مشاعر الدهشة...كانت طيور البطريق تجعل المائدة بمثابة احتفال صغير بموت البراغيث، تلك اللفتة المهذبة التي تخفف من وقع الكارثة، أما هذا المخلوق العاري فقد جعل كل شيء يبدو حقيقيا إلى حد مفجع. كان يفتقر إلى لمسة المواطن المتحضر الذي لا ينسى أن يذكر اسم الله قبل أن يقطع عنقك. وقد الحق العار بمجتمع طيور البطريق المحافظة"[4]. أكد النص دلالة

---

[1] ـ كلمات الحق المقربة، الصادق النيهوم،ص275.
[2] ـ المصدر نفسه، الصادق النيهوم،ص275.
[3] ـ المصدر نفسه، ص276.
[4] ـ المصدر نفسه، ص276.

البطريق على الإنسان منذ أن قال: عاريا كما ولدته أمه، فالبطريق يولد بشكله الذي يشبه بدلة السهرة، يوحي بهذا التجمع إلى المجتمعات الإنسانية، التي تسحق ضعفائها كما يسحق البطريق البراغيث إلا أن البطريق لم يخالف الطبيعة بأكله البراغيث، فهي القوت الذي يضمن له الحياة عندما كان يفعل ذلك بشيء من اللباقة والتهذيب يخفف، ولكنه يفاجأ هذه المرة بخروج طاغية يقتل البراغيث في وضح النهار ويستمتع بقتلها، بل ويجعل من قتلها نموذجا لإخافة وإرهاب الآخرين، فهذا الذي يستعرض قوته ويستفرد بالسلطة إن هو إلا حاكم ظالم، يرهب مواطنيه ويصرفهم عن مجرد التفكير في التعرض له قولا أو عملا. في إشارة إلى تطور العنف ووضوح السطوة في المجتمعات البشرية.

إن القوانين الداخلية للنص وإن كانت تفتح إمكانية التأويل، إلا أنها لا تفعل ذلك بصورة لا نهائية، كما أن التأويلات المقترحة ليست مفروضة من القارئ، ولكنها ناتجة عن التعاون الذي يحدث بينه وبين النص في إطار ما يسمى بالتشارك الضمني، أي لحظة تفاعل بين النص والقارئ. فالمؤلف يتحرك توليديا بخلقه لنص غامض، تغمره الفراغات. في المقابل يتحرك القارئ تأويليا حيث يقوم بفك مغالق النص وغموضه من خلال ملئه لتلك الفراغات، ومن هنا يتبين أن النص يشكل حيزا أو مسرحا لتفاعل أو تصادم استراتيجيتين نصيتين: استراتيجية المؤلف واستراتيجية القارئ.

وعلى هذا الأساس فإن القراءة تدخل حثيث يعمل على تنشيط النص الذي هو آلة كسولة، تحتاج إلى قارئ يفعل في التوليد مثلما يفعل الكاتب في البناء والتكوين، ويكون قادرا على إظهار النص بالطريقة التي كان يفكر بها الكاتب.

فبالإضافة إلى الرؤى البلاغية التي تنظر في روابط النص الفنية الشكلية، يمس النقد التحليلي الحديث وعي الذات الإنسانية، ويفجر مكنوناتها، ويكشف عنها من خلال

استعارات وتلميحات تربطها دلالات معانية مكثفة، تخضع لمفاهيم تفسيرية واستقرائية تبين عمق الروابط القائمة بين جملة الألفاظ المعانية، وأوجه العلاقات الناظمة لدلالات المعاني المتعددة الإيحاءات، فتتحدد جمالية النص ومعانيه وتخلقاته وقيمه من منظور الدراسات التحليلية وفق ما يتضمنه النص من معارف لائذة أو مستترة أو مكبوتة سواء كانت شخصية أم إنسانية أم نصية ثابتة أم أسطورية، يتولى استنطاقها فيبين وظائف الروابط والعلاقات في صياغات الألفاظ من حيث إنها قيم جمالية أو نوازع غير سوية. ولا تتوقف الرؤى التحليلية للنص على الدلالة الفنية والدلالة المعانية، بل تتجاوز ذلك إلى تناول الدلالة النفسية المعبرة عن سيكولوجيا الأعماق[1].

فالعمل الأدبي - إذا - يتكون من عنصرين أساسيين الأول: النص الذي قوامه المعنى وهو يشكل أيضا تجربة الكاتب الواقعية والخيالية، والثاني: القارئ الذي يتقبل آثار النص إيجابية كانت أم سلبية في شكل استجابات شعورية ونفسية، وهذه الاستجابات هي التي تتيح إمكانية القراءة التأويلية، أي تحديد الدلالات المحتملة بالاعتماد على تحليل سياق مكونات النص.

ولكي نتعرف على دور السياق في تحديد إمكانات التأويل المتاحة لدى المتلقي نأخذ دليل ( المطر ) من (كتاب كلمات الحق القوية) والذي يتحدث فيه النيهوم عن وضع المرأة في المجتمع، وعن كونها إنسانا غير مرغوب في مجيئه للدنيا، فمن تلد امرأته بنتا لا يتوانى عن تأنيبها قدر المستطاع وبأقسى الوسائل، ومن ثم يتكرم بقبول وجودها كخادمة في منزله إلى أن يبيعها لرجل آخر يستثمر جسدها، حتى تلد له ما شاء من الأولاد، و تصبح

[1] - ينظر: الوعي اللغوي، منير الحافظ دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، 2005م، ص184-185.

بعد بضعة أعوام عجوز لا طائل من ورائها ولا طموح لها إلا الحج إذا استطاعت إليه سبيلا. يقول: " ثم يهطل المطر من عيون العجائز حول موقد النار"[1].

فالسياق يميل في اتجاه حصر الدلالة في المعنى الحقيقي لكلمة مطر(يهطل المطر) ولأن المطر الحقيقي لا يهطل من عيون البشر، وعلى ذلك فقد اخترق (دليل المطر) هنا دليلا آخر هو (الدموع) وقد امتد تأكيد هذا الاختراق بحضور دلالة أخرى هي (العجائز).

وإلى جانب الدور الذي يمكن أن يقوم به السياق الداخلي للنص في تحديد الدلالات المتباينة، يؤدي السياق الخارجي - كالمؤثرات الشخصية والبيئية للكاتب والمتلقي - دورا أساسيا في الكشف عن المعنى ومن ثم في مسار وكيفية تأويل النص[2].

"وهذه العناصر تتصل بسياق الحال أو المقام، أما القصد فهو يرتبط ببيئة المنتج، والوقوف على هذا العنصر أمر شائك في الدرس اللغوي حيث يخفي المتحدث قصده في كثير من الحالات ولا معول في استخلاصه إلا باعتماده على المقام أو سياق الحال أو الظروف المحيطة بالمنتج"[3].

يقول النيهوم: " أنا سأكتب أدبنا الشعبي، وسأجمعه في حزمة من الورق وأربطه بخيط وأتركه يتدلى من السقف لكي لا تأكله الفئران مثلي..فالفئران لا تعرف أدبنا الشعبي.

الفئران يهمها أن تأكل أولا، وتجد عملا في شركة المقاولات وتمارس الحب وإنجاب الفئران.

وأن أريد أن أكتب أدبنا الشعبي.

---

1 - كلمات الحق القوية، الصادق النيهوم، ص64.
2 - ينظر :علم الدلالة، فريد عوض حيدر، ص162.
3 - ينظر: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، عبد المنعم خليل، ص346.

قصائد الرجال البسطاء الذين ماتوا في كل مكان وحفروا قبورهم بأظافر الكلمات بين العقيلة وأديس أبابا، وعلقوا في عنق جرسياني جمجمة من الياقوت والدموع"[1].

وبالنظر إلى زمن كتابة النص، فالفنران ما هي إلا رجال الأعمال الذين أفرزتهم تلك الفترة، والذين سيطروا على ثروات البلاد وامتلكوا قوت المواطن باسم التجارة، وكانوا مستعدين للمتاجرة بكل القيم مقابل أن تمتلئ بيوتهم مالا وبنونا وتزداد أوقاتهم ترفا.

إن القراءة التأويلية للنص لابد أن تخضع لمقاييس تكون بمثابة جدار حماية من تذويب هوية النص، لأن صعوبة فرض تأويل مخصوص لأي نص لا تعني عدم وجود معايير تقنن مشروعية هذا التأويل، فنحن نجيز لأنفسنا قراءات متعددة لتفعيل النص، لكن ذلك لا يعني بدوره أننا نقرأ كما نشاء أو نؤول حسب أهوائنا، فالقراءة التأويلية لابد أن تلتزم بقواعد التماسك الداخلي والخارجي للنص، حيث تتمثل قواعده الداخلية في استجابة كامل النص لنموذج التأويل، والتزام المؤول بالمنطق التحليلي الذي ينتمي إليه النص بينما تتمثل قواعده الخارجية في عدم مخالفة التأويل لحقائق النص التاريخية، كالزمان والمكان والتاريخ، فنتوصل إلى معايير تبرمج علاقة تلقي القارئ بالنص.

---

1 ـ تحية طيبة وبعد، الصادق النيهوم، ص160.

## المبحث الثالث:- الدلالة عند المتلقي

يتلقى القارئ النص خارج إطاره المكاني والزماني الأصلي، وبذا فهو يسمح بعملية التأويل، ويقبل أكثر من تفسير، فكل مؤول جديد يحمل معه تجربته الخاصة التي ينظر إلى النص من خلالها، ولذلك تتعدد نماذج التأويل.

يتساءل كثير من القراء عن الكاتب وعن ماهية هذا المخلوق البعيد الذي يكتب من أجل أن نقرأ، وهو حينما يكتب يمارس مع نفسه لعبة من أطرف اللعب و أخطرها في آن واحد، لأن الكاتب يخاطب قراء ليسوا أمامه، وهو مدرك لذلك تمام الإدراك، ولهذا فإنه يتعامل مع غائبين، وهؤلاء الغائبون سوف يحضرون في لحظة من اللحظات أثناء قراءتهم لنتاجه، وإدراك الكاتب لهذا الغياب ولذلك الحضور هو ما يجعله يكتب بأسلوب مختلف عن طريقة تعبيره الشفهي المباشر.

فثمة - إذا - ميثاق غير متفق عليه بين الكاتب والمتلقي، يبرمج علاقة التلقي بين النص والقارئ، فيفرض على القارئ مجموعة من القوانين العامة المتفق عليها وقواعد يلتزم بتطبيقها، فالنص ما هو إلا عقد أو ميثاق القراءة، والميثاق القرائي المعقود بين النص والقارئ، يتم من خلاله اللقاء بين مكانين: أحدهما ثابت وهو مطلع النص، والآخر متحرك وهو هامشه الذي يظهر بصوت ضمني خفي يتسرب إلى عروق النص ليمنحه الحياة.

نتفق جميعا على أن النص خطاب يحمل فكر الكاتب وموقفه من الكون والحياة، وأنه يهدف إلى قيادة المؤول إلى تبني خاتمة معينة أو الإعراض عنها، وأن نية الإقناع هذه يكاد لا يخلو منها نص من النصوص وإن اختلفت أساليب استظهارها أو إخفائها، إلا أن صوت الدعوة إليها يظل يهمس بصوت عذب في جنبات النص.

لكن هذا الاتفاق لا يمنع وجود نصوص تبرمج تلقيها بأن تترك مساحات بيضاء وفراغات شاغرة ليؤولها المتلقي عبر مرسى غير واضح، إلا أن هذا التأويل يظل مرتبطا بدلالات السياق ووظائفه.

يقول النيهوم: "ماتت شهرزاد..وحملت عرائس البحر جثتها إلى قاع المحيط..كانت تستلقي هناك على ورق مرجاني ناتئ..وتحدق في انحناءات الموج عبر سطح الماء.. وقد بدت عيناها مثل زمردتين سوداوين باهرتين.. بينما شرع العبيد في قتال الأقراش المتوحشة من حولها"[1].

شهرزاد، بطلة لأحد أشهر الأساطير في الشرق الذي صدر للعالم أعظم الحضارات، والذي ولدت في أحضانه أرقى المبادئ الإنسانية، والقيم التي تحمي الإنسان من نفسه قبل أن تحميه من الآخرين، ماذا حل بذلك الشرق؟ أين هو الآن مما يقال ويحدث؟ مات الشرق وكان موته أليما وكان هناك من ينتظر موته، وقد جاء الدفاع عنه متأخرا.

فشهرزاد حسب السياق هي الشرق، و الأقراش من انتظر موته وفرح به، والعبيد مقاتلون ماجورون لا يعنيهم كثيرا ثأر الميت.

إن العمل الأدبي غالبا ما يحمل إلى القارئ مجموعة من العلامات المترسبة في هذا العمل نتيجة تأثره بالنصوص الأخرى التي تنتمي إلى الجنس الأدبي نفسه، مما يخلق لديه نمطا معينا من التلقي ويدفعه إلى استحضار تجربته السابقة عن النصوص التي سبق أن قرأها، ومن ثمّ هناك أفقان يتم استحضارهما أثناء القراءة: الأفق الذي يحمله النص، والأفق الذي يوجد في وعي المتلقي، وهما التأثير والتلقي. فلا يكون القارئ طرفا مستهلكا لمعنى النص وقصدية المؤلف، وإنما يستقبل النص بعين الفاحص الذواقة بغية فهمه وإفهامه،

---

1 - نوارس الشوق والغربة، بعض من رسائل النيهوم، سالم الكبتي، ص103.

وتحليله وتعليله على ضوء ثقافته الموروثة والحديثة، وأرائه المكتسبة والخاصة في معزل عن صاحب النص، ليتحول بذلك إلى عنصر فاعل في عملية إنتاج المعنى.

فالمستوى الدلالي أحد أهم مفاهيم المعنى لدى القارئ، إلا أن المعنى بهذا الوصف لا يعبر عن تجربة متكاملة في القراءة، فالمعنى كمحتوى دلالي هو جزء من التجربة يتعلق بالمرجع الواقعي الذي يشير إليه تركيب النص، والمظير التركيبي للنص هو معطى ثابت، بينما المظهر المعنوي يكتسب وجوده من خلال وسائل القارئ في توظيف معطيات التركيب النصي من أجل تكوين المعنى، فكل شيء يحدثه القارئ في تفاعله مع النص هو جزء من معناه.

يقول النيهوم: " هل نمت؟ هل كفت قرصات معلمك عن الوخز؟ وشرعت تحلم بالساحرات؟ بمصباح علاء الدين؟ (...) فإن الله قد خلق ذلك كله لكي تحلم أنت به وتنسى قرصات معلمك. ولكي يحلم به معلمك وينسى قرصات الآخرين (...) فتذكر ذلك عندما تحس بالألم، عندما تنهض بهيمة ما من حفرة ما وتثب مخالبها في قلبك.. تذكر أن الله لن يدعك تنزف، وواصل المشي في اتجاه أنفك فإن كل شيء في العالم يمضي في هذا الاتجاه ما عدا الذين يرجعون إلى الوراء"[1].

البهيمة هي الحيوان الذي لا يفقه، لكنها في هذا النص وحسب سياق الحال ليست كذلك لأن الكاتب هنا يخاطب ولده، ويحذره مما سيواجهه في هذه الحياة، وما سيفاجأ به من قسوة الناس ولا مبالاتهم بآلام الآخرين، وأن قرصات معلمه في المدرسة لن تكون آخر الوخزات، وأن معلمه أيضا ليس بأقل منه ألما، وهنا ينصحه بالخلود إلى الحلم بين الحين والآخر لكي يتمكن من مواصلة السير، وأن يتوكل على مساعدة الله كلما هب أحدهم لوخزه، وأن لا يستسلم للبشر القساة الأشبه بالبهائم الشرسة التي وتختفي في جحورها.

---

1- كلمات الحق القوية، الصادق النيهوم، ص53.

والنص الأدبي يوجه إلى متلق، وهذا المتلقي له شأن كبير في إكمال النص وتجليه وبهذا المتلقي وليس بالمنشئ يناط قيم المقصد الفني الكامن في النص، إذ يقاس مدى نجاح الأعمال الأدبية بالآثار التي أحدثتها في متلقيها. ومن هنا كانت العناية بالجانب الاجتماعي من ثقافة المتلقي، وبالعوامل الكثيرة التي شاركت في تكوين ذوقه على نحو معين، فلم يعد المؤلف وعمله يحتلان الصدارة، بل انصرف الاهتمام أساسا إلى المتلقي وإلى الظروف الاجتماعية التي تم فيها التلقي.

وهذا ما أوجب الأخذ بعين الاعتبار التكوين الثقافي لشخصية المتلقي، والعوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة بلغته وسلوكه كالمكان والزمان، وعصارة تجاربه المتشكلة من تقلبات المجتمع السياسية والاجتماعية والدينية.

فـ "المتكلم ينطق باللفظة أمام السامع محاولا بهذا أن يوصل إلى ذهن السامع دلالتها، فتبعث تلك اللفظة في ذهن السامع دلالة معينة اكتسبها هذا السامع من تجاربه السابقة، ويفترض بعد سماعها أن ما دار في خلد هذا المتكلم يطابق تمام المطابقة ما يدور بخلده. فهو لم يتغلغل في عقل ذلك المتكلم، ولم يكشف حقيقة ما يجول في ذهنه، ولم يقف على حدود دلالته وما حولها من ظلال أو هالة، وإنما بنى فهمه وأسسه على تجاربه هو وفهمه الخاص لمثل تلك اللفظة"[1].

وقد وضع اللغويون في اعتبارهم مراعاة هذه العناصر من منطلق أن المعنى المعجمي لم يعد كافيا لتوضيح المعنى الدلالي الكامل أو الشامل للكلمة أو العبارة، حتى وإن أضفنا اليه الجانب الصوتي والتركيبي "إذ أن تحليل هذه الجوانب ومعرفة مكوناتها تؤدي إلى معرفة جوانب وأجزاء من المعنى وتبقى بعد ذلك الدلالة الكاملة للكلمة، فمجرد وضوح

---

[1] ـ دلالة الألفاظ إبراهيم أنيس، ص107.

هذه الوظائف والعلاقات لا يؤدي إلى معرفة هذه الدلالة، لأن الكلمة لم توضع بعد في السياق أو المقام الذي هو شرط لاكتمال المعنى"[1].

ومع تقدم القراءة يتفاعل كل جزء من النص مع ما يسبقه وما يليه، والمعنى يأتي من تجاور الأجزاء، بحيث تسهم كل مفردة في تجربة القراءة لا بمعناها المعجمي بل بما تثيره من رد فعل ناتج عن موقعها في النص وعلاقتها بما قبلها وما بعدها.

"لكي تحتل صفحتك من جديد، وتشرع مخالبك الرهيبة دفاعا عن أطفالنا المشردين في الشوارع، (...) وعجائزنا المحطمات القلوب في عرين الأسد الليبي"[2].

الأسد حسب السياق، ليس هو المتعارف عليه معجمياً، بل هو الرجل الليبي، وعرينه الذي يأوي نساءً لا حول لهن ولا قوة، والعرين هنا هو المجتمع الذكوري الذي لا يعترف بقدرات المرأة، ولا بحقها في المساواة.

المتلقي الجيد هو الذي يمتلك القدرة على التحليل والتركيب، ورؤية العلاقات بين الأشياء، وسوغ هذه الحاجة، تلك النصوص التي يلجأ صانعوها إلى استغلال العلاقات المجازية، بألفاظ وجمل يدللون بها على أمور مغايرة لدلالتها الحقيقية، فلا تتضح أبعاد هذه النصوص وخلفياتها وأسبابها والمضمر خلف السطور فيها من القراءة وحدها، بل تحتاج إلى تدقيق وإمعان نظر ومعرفة بأساليب وآليات القراءة، ليتمكن المتلقي من وعي طبيعتها وأهداف مرسلها، ويصبح مؤهلا للتفاعل معها وتحليلها، فإن أي نص يتسع للعديد من التفسيرات، التي تتنوع بتنوع اتجاهات القراء ومذاهبهم، وهذه الاتجاهات ليست في حقيقتها سوى صياغة لموقف القارئ الاجتماعي والفكري من واقعه. واللغة هي أداة نقل

---

1 ـ الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، حلمي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، 1980م، ص219.
2 ـ نوارس الشوق والغربة، سالم الكبتي، ص141.

المعرفة، ما دامت حاجة الناس إلى بعضهم طبيعة ثابتة في جوهرهم، محيطة بجماعتهم، لذلك فهي محتاجة إلى تفسير وإيضاح، ولا يكون النص اللغوي في حالة ثبات، مادام المدلول في حالة تغير دائم، وخلق جديد، فلابد من الانفتاح على عالم النص لكي يصبح التأويل ناضجا وقريبا من الدقة.

يقول النيهوم: "الشيطان ذلك المخلوق اللص، إنه لم يدر قط أن الإنسان يستطيع أن يلوي وجه العالم في أي اتجاه.. لم يدر قط أن أحدهم سوف يسمي ( السرقة ) مساواة في الفرص، ويسمي الخداع استعمالا للمواهب، والاستغلال حق الأذكياء، والظلم عقاب الكسالى والمفتقرين إلى المواهب، ( والكذب ) لعبة اقتصادية. والقتل جوعا أو حرقا في رمال الصحراء إنماء لرأس المال العامل.. ولم يدر قط أن تلك الأسماء سوف تكتسب صفة الحكمة وتحملها الأفيال من سمرقند.

ولكن الإنسان فعل ذلك وأصبح زيرا من الحكمة"[1].

لطالما بحث الإنسان عن الأمن والأمان، ولم يتوان عن توجيه إمكاناته العقلية والجسدية في ذلك الاتجاه، فابتكر وطور الأسلحة المادية والمعنوية التي من شأنها أن تحميه من كل الأخطار المحيطة به، وقد وفق في ذلك كثيرا، وانتصر في جل حروبه مع الطبيعة، غير أنه لم يوفق في حربه مع نفسه، لأن الأنانية وحب الذات والسيطرة ونكران الآخرين، والرغبة الجامحة في التملك، كانت الأسلحة التي اعتمدها في تلك الحرب، فأجرم في حق نفسه، وسار في الاتجاه المعاكس للطبيعة، وارتكب الأخطاء القاتلة، التي وصلت به إلى ما هو عليه الآن من التباس في المسميات، واختلاط في المفاهيم، أنتجت ما أنتجته من

---

1. طرق مغلقة بالثلج، سالم الكبتي، ص108.

الدمار الإنساني والكوارث البشرية التي لا تعد ولا تحصى. فعل الإنسان بنفسه ما عجز الشيطان عن أن يفعله به.

النص عالم قابل للتفاعلات والتأويلات التي تتجدد باستمرار لا محدود، وهذا ما يبرر تعدد القراءات، ويخلق جسر من التواصل بين عالم النص وعالم القارئ الواقعي. غير أن القول بأن النص بنية متحولة مهاجرة موضوعة في مفترق الدلالات، مفتوحة على المعاني، لا يعني أنه قابل لكل معنى، مرسوم في أفقه كل تأويل، لأن تصورا كهذا هو في حد ذاته نقض لوجود النص وإلغاء لسلطته، كما أنه إلغاء لسلطة القراءة نفسها[1].

التأويل يعمل على إيضاح المعنى وبيان مراميه، كما يعمل على اتساع مفاهيم النص، ويضيف إليه من المعاني ما يمكن أن يحتملها على هدي من منطق اللغة، وطرقها في الاستدلال، ويقوم بالبحث عن قصد الخطاب، ويعد إلى جانب ذلك روضة فكرية يجول فيها العقل باحثا متأملا، لأن المؤول مستنبط يخاطب العقل أكثر من مخاطبته السمع، وهنا تكمن أهميته في تأويل النص اللغوي، وخطورة موقفه، مما يجعل التأويل سلاحا ذو حدين. فالخطاب يحتاج إلى مستمع، ومهمة هذا المستمع أو المتلقي هي كشف المستور عن معنى النص، وإزاحة الأستار والحجب عنه، إن كان للنص معنى يحجبه "لذا فتناصية النص تفترض على الدوام أن المعنى غير مكتمل، وأنه يحاول دائما أن يصل إلى بعض صور اكتماله تاريخيا عندما يقع بين يدي قارئ فعلي. هذا القارئ هو الذي يحسم في الفعالية التناصية ويعطيها تأويلا محددا. وبهذا المعنى يمكن القول بأن

[1] ـ ينظر: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الطبعة السادسة، 2001م، ص16.

الفعالية التناصية في الرواية وفي غيرها من النصوص الأدبية لا يمكن تحريكها نحو تنشيط التدليل، إلا عندما يتدخل القراء بكل ما لهم من مواقف وخلفيات ثقافية"[1].

ففي رواية الحيوانات يعلن الأسد نفسه ملكاً، باقتراح من الذئب، الذي يقترح عليه أيضاً تشكيل حكومة برأسة الكلب، ويبدأ الكلب في تشكيلها مختاراً لكل وزارة من يناسبها من حيوانات الغابة، وفي كل مرة يدور الجدل والنقاش حول الوزير المختار، يقول النيهوم: "استمر توزيع الحقائب رغم حلول الليل. أظهر الأسد مرونة فائقة في قبول من هب ودب لكنه عاد وتصلب فجأة عندما سمع عن تعيين الثعلب في وزارة الكلام. أريد الببغاء قال الثعلب"[2]. فالذئب يشير على الأسد باختيار الثعلب بدلاً من الببغاء لوزارة الكلام، وينصحه بأن يستفيد من تجارب سابقيه من الملوك، لأنه قد تغير عصر الببغاء وجاء عصر الثعلب الذي يحسب لكل كلمة ألف حساب، ويدفع الحساب لكل ألف كلمة.

إن دلالة النص لا ترتبط بالمعنى القصدي للكاتب - وإن كانت القصدية مهمة لفهم الدلالة - وإنما بتقدير القارئ لعلاقة النص برؤيته للعالم، واهتماماته الفردية، وتجربته الذاتية، وعلى هذا الأساس فإن فهم المعنى اللفظي للنص يرتبط عند القارئ بدرجة واضحة من اليقين، حيث أننا نتحدث عن سياق من العلاقات اللغوية ترتبط دوالها ومدلولاتها بقانون التوحد وليس المراوغة. "فيرتبط بشرعية التفسير التي تقوم على إثبات أن بناء القارئ للنص هو أكثر التفسيرات احتمالاً في ضوء ما يستطيع ذلك القارئ اكتشافه"[3].

فالعلاقة بين الخطاب والتأويل - كما بينا - هي كشف المحجوب وإزاحة النقاب عن المعنى من خلال التجربة الخاصة بالقارئ، وبعبارة أخرى كشف المحجوب بوصفه خطوة في طريق البحث عن الحقيقة، يعمل على إخراج القصدية السرية المغطاة بالظاهر.

---

1 - القراءة وتوليد الدلالة، حميد لحمداني، ص28-29.
2- الحيوانات، الصادق النيهوم، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الطبعة الأولى، 1984م، ص14.
3 - الخروج من التيه، دراسة في سلطة النص، عبد العزيز حمودة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، الطبعة الأولى، 2003م.

# الفصل الرابع: الدلالة الإيحائية

## المبحث الأول

## الإيحاء إلى ألفاظ يخشى ذكرها ( اللفظ المحظور )

كثيرا ما تتجدد صور الكلمات في اللغة، وتتطور تبعا لتطور المجتمع، ونضجه الثقافي، ولاسيما تلك الكلمات التي تصاب بالابتذال، إمّا لأسباب سياسية،وإمّا اجتماعية، وإمّا عاطفية، ويترتب على هذا الابتذال - عادة - انحطاط بعض الدلالات، مما يدعو إلى انزواء الكلمات الدالة عليها وانـدثارها، فتستدعي حاجة الناس إلى تلك الدلالات استبدال ذكرها مباشرة بالإيحاء إليها بألفاظ أكثر غموضا وتعمية. وهذا التلطف هو ما يعرف بالدلالة الإيحائية، المعتمدة على مفهوم الرمز من حيث وظيفته الرئيسة التي تتمثل في الإيحاء، أي التعبير غير المباشر، عن النواحي النفسية المستترة والتي لا تقوى اللغة على أدائها، أولا يراد التعبير عنها مباشرة. وأكثر ما يكون الإيحاء في الألفاظ المحظورة لأسباب سياسية أو دينية، و الألفاظ المستقبحة أو المبتذلة، و الألفاظ المشؤومة أو المخيفة، أي ما يعرف باللفظ المحظور أو اللامساس (taboo).

و" اللامساس (taboo) يطلق على كل ما هو مقدس أو ما يحرم لمسه أو الاقتراب منه لأسباب خفية (...) فإذا ما استطدمت كلمة ما بحظر الاستعمال تحت تأثير عامل اللامساس حلت محلها كلمة أخرى خالية من فكرة الضرر والأذى. وهذه الظاهرة ليست مقصورة بحال من الأحوال على المجتمعات البدائية، فهي معروفة في كل البيئات"[1]

أما دوافع ذلك الإيحاء - التلطف في التسمية - فهي إما للكياسة والتأدب، وإما للخجل والاحتشام، وإما بسبب الخوف والفزع[2].

والألفاظ الإيحائية البديلة، تصبح بمرور الزمن إيحاءات متعارف عليها، مما يجعلها تبدو دلالات هامشية اجتماعية لتلك لألفاظ ، أي كنايات لمعان مدركة من قبل الجماعة اللغوية،

---

[1]- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ص202،203.

[2]- ينظر: المحظورات اللغوية دراسة دلالية للمستهجن والمستحسن من الألفاظ، كريم زكي حسام الدين، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، 1985م، ص51.

وهو ما أدركه الجاحظ حين قال عن البيان: " اسم جامع لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى، أو هو الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي"[1].

وتفرض ظروف المجتمع : السياسية، و الاجتماعية، و العقائدية - أحيانا كثيرة - حظرا يتشعره الناس أو يكون مباشرة، فيقف ذلك الحظر حاجزا بينهم وبين ما يجول في دواخلهم تجاه قضية معينة، ويتمثل هذا الحظر في خوف الإنسان على أمنه واستقراره، أو تحاشيه عقاب المجتمع لخروجه عن الثقافة الاجتماعية أو العقدية السائدة، فيلجأ - غالبا - إلى الإيحاء كطريقة يتمكن بها من التعبير عن رأيه في القضايا التي تقض مضجعه، والتي يشعر بالمسؤولية حيالها، لعله يتمكن بذلك الإيحاء من استحضار الدلالات التي يريدها، بألفاظ بديلة تؤدي غرضه، وتعبر عما بداخله، و هنا تتجلى قدرة اللغة على استيعاب رغبات المجتمع وحصيلته المعرفية.

لنستدع عنصرا لغويا غالبا ما يتردد في سياقات الإنشاء، سواء كنا نتحدث في موقف اجتماعي يحتاج إلى نص شفهي كخطبة أو اعتذار، أو كنا نعد قضية موضوعية نحتاج فيها إلى نص مكتوب كتقرير علمي أو خطبة سياسية أو دينية، ويتمثل هذا العنصر في عبارة نفكر فيها دائما، وأحيانا كثيرة نرددها أمام من نتناقش معه في الصياغة، مفادها أن هذه الكلمة أو العبارة ( غير مناسبة ) لما توحي به من ظلال، أو لما تحمله من مفاهيم. ويتعلق الاحتراز هنا، بالوظائف الأساسية للغة وهي الإشارة إلى عناصر الوجود بواسطة الرموز الصوتية والكتابية، فينصب الاهتمام في هذه الحالة على عدم استخدام رمز لغوي بعينه، والاستعاضة عنه برمز رديف يظن عدم إيحائه تلك الظلال أو حمل المفاهيم غير المبتغاة.

---

[1]- البيان والتبيين، الجاحظ ج1 ص 98-99.

أما حين يتعلق الأمر بتطورات استخدام الرموز اللغوية لتكون معبرة عن معان قائمة على أبعاد لغوية ثقافية، فإننا ندخلها في مرحلة ثانية، وهي التي عنيت بها اللسانيات الاجتماعية والأنثروبولوجية[1] والنفسية والإدراكية. فهناك مثلا مقولة تتردد كثيرا في مجال صياغة الخطب السياسية، وبعض الخطابات الإعلامية ذات المساس بالأنظمة السياسية على وجه الخصوص، حيث يردد منشئ الخطاب أو المتكلم: (لا نريدها بهذه الصراحة والوضوح أو لا نريدها بهذه الحدة ) ويقصد بها مطابقة الواقع، فيلجأ في مثل هذه الحالات إلى وسائل التعمية أو العبارات الملتفة، التي تمتص فورة الصدمة، وتحيل المتلقي إلى المعنى مغلفا بقشور إتوائية، ولكل مجتمع خصوصيته في شأن استخدام هذه الوسائل؛ إذ تكون المواقف خاضعة لتقديرات القبول الاجتماعي.

ينتقد النيهوم ظاهرة الفخر بالنفس، التي تسود معظم الثقافات البدائية، ولا يعتبرها فضيلة على الإطلاق، بل مجرد محاولة يائسة لتعويض النقص الناجم عن اندحار الفضيلة. ولكنه يرسل ذلك المعنى إلى المتلقي مغلفا في عبارة ( العقم الفكري ) لأنه يراها أقل وقعا، وأكثر خضوعا للقبول الاجتماعي.

يقول: "والدراسات الحديثة تضع ظاهرة التفاخر بمثابة مقياس غير قابل للخطأ في تحديد مدى العقم الفكري الذي يعانيه مجتمع ما "[2]. وهو يرى الشعر مسئولا لأنه يلعب دور المنطق في ذلك الإحساس. " ولكني لا أريد أن أجعل هذه الإشارة العابرة نهاية المطاف فيما يخص ظاهرة عقمنا الفكري ، فالواقع أن اللعبة أكثر وضوحا من أن تقف عند حد الألفاظ الشعرية"[3]

---

[1]. الأنثروبولوجيا هو علم الإنسان، ويسميه البعض (علم الأجناس).
[2]. ثلاث كلمات تقل بأمتة عن مشكلة التراث العربي، المسائل النيهوم، ص65.
[3]. المصدر نفسه، ص67.

أما من كان قادراً في مجال الإبداع؛ الشعر أو الفكر، أن يتسامى إلى المراحل الأولى للغة، وهي الإشارة إلى العناصر بالرموز الصوتية والكتابية المحددة، و ملازمة الدال للمدلول، فإنه يكون قد تجاوز التقليد، ووصل في استخدام اللغة إلى الجذور. وهذا يعني أنه يبتكر أفكاراً أصيلة، وبلم بالعلاقات المفترضة بين الألفاظ ودلالاتها، وبين نقله الكلام ومرادهم، وبين معاني النصوص ومفهومها.

وفي حين تكون البدايات في أغلب الحالات نقية؛ ويكون فيها تطابق السمات الرئيسة بين الاسم والمسمى متحققاً، إلا أن الثقافة السائدة تفرض قيودها على هذا المبدأ في بعض المجالات، إلى ما يسمى ( المحظور ) كلياً، أو جزئياً.

وتنشأ ضمن هذه المرحلة - مرحلة تطور التسمية والتصنيف في استخدامات اللغة - حالات تنتقل فيها الرموز اللغوية ( الألفاظ ) من وضعها الطبيعي المعتاد إلى أوضاع مختلفة، وتكون العلاقات فيها بين المنشئ والمتلقي والموضوعات المطروحة، قائمة على أسس جديدة أقرب إلى أن تكون تعاقدية. وأكثر ما يكون الغرض تجديد الأساليب، أو لفت الانتباه إلى حالة نفسية ملحة في مضامين النص، أو لدى الكاتب، خاصة إذا كان يتحدث عن تجربة شخصية. فكما هو معروف هناك اهتمام شديد من قبل مستخدم اللغة الذي يسعى إلى حسن التواصل بالجانب النفسي للمتلقي، فإن كثيراً من السياقات اللغوية تعتمد على هذا البعد الإيحائي، في جذب المتلقي إلى جانب مخفي في خلفية اللفظ المستخدم ودوره في السياق.

"يقال في أصل كلمة ( السياسة ) أنها مشتقة من ( ساس الحصان ) بمعنى قاده إلى موقع الماء. وهي اشتقاق حسن. إذا كان الحصان يريد أن يشرب. أما إذا كان السايس، هو الذي يرغب في نقل بعض البراميل، فإن كلمة السياسة تصبح مشتقة

من ( الويل للحصان ) رغم الاختلاف الظاهر بين الحروف. إنها نقطة ضعف قديمة في طبيعة كل الكلام "[1].

عند قراءتنا لهذا النص، نتوقع للوهلة الأولى أن الكاتب يقوم بالتحليل اللغوي، لكلمة ( السياسة ) ويبحث في أصل اشتقاقها، ولكن هذا التوقع لا يدوم طويلا، إذ نكتشف بعد قليل أنه بعيد كل البعد عن ذلك، وأنه أراد الإيحاء إلى الخلط المتعمد بين معنى الكلمة في الأصل، وبين مفهومها السائد و المطبق فعلا، حيث تحولت مهمة السايس من قيادة الحصان لكي يشرب، إلى استغلال قدرات ذلك الحصان وتسخيره.

ففي حالات كثيرة تكون مضامين النص أكثر مما يحتويه التلقي، فيتم من خلال خلفية المواقف، استحضار التفسيرات المختلفة، وحينيا يمكننا أن نفرق بين المعنى بوصفه المضمون الذي يحتويه الرمز دلاليا ( أي ما يوجد فعلا ) وبين مفهومه بوصفه الشيء الذي ينقله الرمز في ذلك الموقف.

يقول النيهوم: " فأنا نسيت أن أقول لك أن الملك اكتفى بوضع رأسه على وجه القرش ونسي أن يضع حذاءه الملكي على الوجه الآخر فشرع الناس يسحبون القرعة قائلين (تبي الرأس والا الذيل) أيها السادة، تحية طيبة وبعد..فإن الملك لا يملك ذيلا "[2].

المعنى أن الناس عندما وجدت الرأس على وجه العملة، ولم تجد شيئا على الوجه الآخر، جاءت بلفظ الذيل كمقابل للرأس. ولكن عبارة (أن الملك لا يملك ذيلا) توحي بأن الذيل لم يستعمله الكاتب كمقابل الرأس، وإنما للدلالة على وزراء الملك ومستشاريه، في إشارة إلى أن الحكم الفردي المطلق.

---

1- محنة ثقافة مزورة صوت الناس أم صوت الفقهاء، الصادق النيهوم، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1991م، ص19.

2- تحية طيبة وبعد،الصادق النيهوم، ص19.

وبما أن منطق البرمجة اللغوية ذو صبغة مهارية بحته، و أنه أقرب إلى فنون التحايل منه إلى أسس العلم المنهجية، إذ يركز على إيداع الأهداف المرجوة لدى الآخرين، بغرض التأثير فيهم وبرمجتهم باستخدام الوسائل اللغوية المعتادة، من خلال أساليب مدروسة وطرق يتعلمها المبرمجون مهنيا أو أكاديميا. فقد برزت تلك البرمجة وكانت مجدية أيضا في مجال الاستغلال السياسي والأيديولوجي للجماهير. وهي وسائل يرى فيها الممارس نفعا في تحويل متلقي الرسالة من وضع إلى آخر. ففي البرمجة السياسية تدور رحى الصراعات من أجل السيطرة على مقاليد الأمور. وفي سبيل ذلك تحتاج القوى المتصارعة إلى الهيمنة على الجماهير وحشر الأفراد، للإيمان بما يؤمن به القطيع في مهمة إكراه على الإجماع، وقولبة فيما لا يوجد فيه اختيار.

فرواية (القرود) لم تكن مجرد أحداث عادية بين مجموعة قرود البابون، التي تعيش في غابة البودونجو في شمال أوغندا، و في رواية الحيوانات لم تكن الحكومة التي تتشكل في الغابة بأمر الأسد حكومة حيوانات. بل تخطت ذلك بكثير، فقد تم إلباسها الرمز المحدد والمتكامل في وقت واحد، وتمكنت بذلك أن ترسم صورة جلية لتلك القوى المتصارعة، وأن تحدد الدور الذي تلعبه اللغة فيها، تلك القوى وإن كانت قد أعدت أجهزتها المحترفة لتنفيذ أهدافها على أرض الواقع، إلا أنها تحتاج إلى معونة لغة الإعلام والرأي العام المسوقة لتلك الرغبات؛ حيث تجري على ألسنة الناس وكأنها من ابتكارهم، وصادرة عن قناعاتهم الذاتية.

قرود البابون في تلك الغابة، كانت مقسمة إلى قطعان، لا يختلف القطيع عن الآخر إلا من حيث عدد الإناث والذكور والأطفال الذين يضمهم، فهناك مجموعة من القرود جعلت أنفسها زعماء واقتسمت تلك القطعان، منها من تزعم بالقوة، ومنها من تزعم بالحيلة، ومنها من ورث الزعامة، إلى آخر ذلك. يجد أولئك الزعماء أنفسهم في مواجهة الفهد

الذي يندس في الغابة نفسها، ويحاول بين الحين والآخر أن يفترس من يستطيع من تلك القرود وهنا يوضع الزعماء على المحك، وتكشف المحنة عن فروق فردية واضحة.

ويظهر دور اللغة جليا في محاولات أحد الزعماء للنيل من قناعات عامة القرود، وإقناعهم بما يريد، وتبني موقفا لدى العامة يتفوق به على بقية الزعماء الذين أصابهم الرعب، وكانت ردات فعلهم سريعة ومرتبكة. يقول: " وتحت سماء كاملة الصفاء والزرقة وقف هولاكو يتحدث بلغته البسيطة الخالية من الايقاع والمعتمدة كليا على نوع الذبذبة وحركات اليدين: (العدو كلب) قال هولاكو كلب هو، مجرد كلب. أنا أعرف. أنا أرى، تقولون نعم، تقولون لا. ذلك أمر يخصني، أنا أعرف، أنا أرى:... العدو كلب تضربه بعصاك، تضربه بحجر، تراد دائما يهرب أمامك وذيله بين رجليه "[1]. ومع أن العدو فهد، والقرود لا تقوى على مواجهة الفهد، مع ذلك أراد هذا الزعيم أن يقنع عامة القرود بأن الفهد كالكلب، وأنه قادر على مواجهته، وأن الخوف منه مجرد وهم اعتادوا عليه.

إن اللغة (المؤدلجة) هي نسق من النظام اللغوي، يحاول أن يفرض هيمنته وسيطرته على النظام اللغوي نفسه، وتتم هذه السيطرة من خلال عملية إعادة بناء دلالة الرموز اللغوية في نظام اللغة الأساس، حيث يتم الاستيلاء على نظام اللغة الأساس (العلامات) والاستحواذ عليها. وهذا يعني الاستيلاء على العالم الذي تنظمه اللغة من خلال نظامها الرمزي، وهذا يفضي بدوره إلى الاستيلاء على الإنسان عن طريق امتلاك وعيه.

في رواية الحيوانات يشير الكاتب إلى ذلك حيث يقول الكلب - وهو رئيس الحكومة - " حرصا من حكومتي، حرصا منها على نشر الثقافة وتأكيد روح

---

[1]- القرود، الصادق النيهوم، ص53-54.

الغابة فقد تقرر ما يلي: أولا اصدار جريدة ناطقة. ثانيا اصدار جريدة لا تنطق. ثالثا إصدار جريدة لغير الناطقين"[1].

ستتوجه الحكومة إلى كل فئات القطيع بما تريده عبر جرائدها. وهو ما يحدث عادة في لغة الإعلام السياسي، حيث نجد استخداما واسعا لكلمات مثل: الرجعية، التقدمية، التخلف، التقدم، الدكتاتورية، الديمقراطية، الكبت، الحرية، الإرهاب الخ، بما يقصد منها إملاء موقف معين على الناس، من خلال، عملية تداعي المعاني، وتعميم اللفظ فقط وقد يكون كثير من تلك المواقف خاطئة، وقد ينساق الناس إليها بسبب الغفلة، وعدم التدقيق في استخدام اللفظ أو فهمه. فاللغة العليا تكلم الوعي المباشر. أما اللغة الرمزية القائمة على الإيحاء، فإنها تتسلل إلى العقل الباطن فتكون أبلغ في التأثير، كالعبارات التي تشيع على ألسنة أصحاب الأيديولوجيات الدينية، لكي تخدم فكرة التصرف المطلق في السلطة كعبارة (أولو الأمر) التي تعني عدم مشاركة الناس في شيء من ولاية أمرهم، و(الرعية) وهي ما يطلقه أصحاب الأيديولوجيا على المستسلمين بقوة الأيديولوجيا لأولي الأمر، تلك العبارات استلاب لإرادة البشر. وسوقهم كالقطيع إلى ما يريده صانعو تلك العبارات. ولهذا السبب قيل: أن المجاز أفضل من الحقيقة أحيانا، وأن الكناية أبلغ من الإفصاح، وأن الاستعارة أقرب من التصريح.

إن الكلمات بمفردها لا تغير الحقيقة، لكن التغيرات التي تحدثها في تصوراتنا هي التي تغير ما هو حقيقي بالنسبة إلينا. فلو نظرنا إلى بعض العبارات التي سادت مؤخراً في لغة الخطاب السياسي عالميا مثل (مكافحة الإرهاب) أو (الحيلولة دون تهديد الأمن العالمي) لوجدنا أنها تغليف لمجموعة من المبادئ ارتأتها الإستراتيجية الأمريكية تهدف إلى الإبقاء

---

1- الحيوانات، الصادق النيهوم، ص24.

على الولايات المتحدة الأمريكية في وضعها المهيمن، وسيطرتها على موارد العالم الرئيسة، وممراته المائية، والحيلولة دون ظهور قوى عالمية جديدة.

" إن اسم عبد الله الذي لا يعجب الشعراء المحبين للحرية، رمز من أقوى رموز المعارضة الجماعية في الإسلام لنظام الاقطاع وحكم الفرد. فالمواطن الذي اسمه (عبد الله) لا يستعبده مواطن مثله. وإذا شاءت ظروف الإدارة أن تسمح بوقوع مثل هذه الكارثة، فإن اسم عبد الله، يصبح منشورا سياسيا معارضا يوزع يوميا على كل البيوت "[1].

تبدو النية الطيبة والأهداف النبيلة غاية في الوضوح في نص الكاتب، وهو أن القرآن لم يستعمل كلمة (عبد) بمعنى رقيق بل بمعنى مخلوق ، فيقول: عبيد الله، أي: مخلوقاته وأن استعمال كلمة (عبد) بمعنى رقيق استعمال جاهلي. ونلمح في النص إيحاء خفي إلى سياسات الدول التي تقوم على استعباد الناس.

إن إمكانية الحصول على المطالب دون التعبير عنها بشكل صريح، علامة على القوة أكثر منها دلالة على الافتقار إليها. فعندما تطلب فتاة من أبيها الإذن بالخروج، ويجيبها بعبارة (يمكنك الخروج إذا أردت) فإنها ربما تقرر عدم الخروج لما توحي به إجابة الأب بعدم الموافقة، والأب في هذه الحالة لا يشعر بأنه عديم القدرة على إصدار الأمر بعدم الخروج إلى ابنته، لكنه يلجأ إلى الإيحاء كنظام اتصال يتظاهر من خلاله كل منهما أنها هي التي اختارت عدم الخروج عن قناعة، وليس انصياعا لأمر والدها فاستخدام الألفاظ أو العبارات الإيحائية قد يؤدي إلى سلب حق المتلقي في رفض عرض المتكلم، إذا وضعت بذكاء في قالب يصعب رفضه.

---

1. محنة ثقافة مزورة، الصدق المفهوم، ص32.

وهذا ما يستغله الكاتب في حماية نصه من النقد أو إبداء رأي المتلقي في بعض جزيئاته، خاصة إذا مسّ الخلفية الدينية في مجتمع محافظ، أو استخدم صاحب النص مسلمات لها من القوة ما يجعليا فوق النقد. وفي كل الأحوال يكون التخطيط لهذا الإقحام مقصوداً، والتلويح بقوة الفكر الذي يقف خلف الخطاب، لا منطق الخطاب نفسه، يوحي باستغلال متعمد لهيجان العامة إزاء مناقشة المسلمات، لأن استخدام مثل هذه الألفاظ والعبارات - الإيحائية - يهيئ لمناخ فكري غير محدد المعالم، ويصنع آراء رمادية اللون، ويقلل من هامش المصارحة، وتسمية الأشياء بأسمائها. وكلما كانت المهارة في استخدامها أكبر، كلما زادت قدرة المرء على التمييز بين تلك الاستخدامات المختلفة، والاستفادة منها في تطويع اللغة لرغباته.

يقول النيهوم: " ولكن اللعبة في بلدنا لا تخص الرغبة في معرفة مصادر تراثنا النابع من صميم الشعب: بل تخص فصاحة شيخ المحلة العالم ببواطن الأمور، الذي يريد أن يجلس في بنغازي، ويغطي كل موضع إبرة من جثة حرمه بعد أن يقنع أطفاله البسطاء بأن ذلك بالضبط هو ما جاء في عقيدتنا وتقاليدنا "[1].

(شيخ المحلة) إيحاء إلى صاحب السلطة، ويبدو هنا أنها سلطة دينية، لأنه في عبارة (يغطي كل موضع إبرة من جثة حرمه) إشارة إلى حجاب المرأة، فالكاتب بهذا الإيحاء أراد إثارة النقاش في هذا الموضوع الذي يمس بالخلفية الدينية للمجتمع ويستفز الناس بالإشارة إلى أن ابتعادهم عن نقاشه، ليس لقناعة دينية وإنما لكونهم بسطاء يتم إقناعهم بأبسط الوسائل كما يفعل مع الأطفال.

ومما لاشك فيه، أن أغلب الكتاب الموهوبين أو المتمرسين في فن الكتابة، يلجأون إلى الإيحاء كوسيلة لإيصال مقاصدهم، والتخفي وراء الكلمات منعاً لمصادرة أفكارهم،

---

1- ثلاث كلمات تقال بأمانة عن مشكلة التراث العربي، الصادق النيهوم، ص64.

ولهذا نعاني من أثر ازدواجية التسمية في كثير مما يتعلق بما اعتاد عليه الناس في حياتهم الاجتماعية، خاصة في جوانبها السياسية و الدينية. حيث نجامل أصحاب السلطات . فنقول: (أعمال شغب) لكي لا نقول (مظاهرات) و نجامل المتعصبين، فنقول: (اليوم الوطني) لكي لا نقول (العيد الوطني) نعاني بصفة دائمة من الحرج مع جهة من الجهات فلا نسمي الأشياء بأسمائها.[1]

يقول النيهوم: "وسوف يمتلئ العالم بالقمح. يملؤه الله بيديه قمحا حقيقيا، ويعلمنا كيف نحميه من الطيور بأن نقطع عمودين من الشجر و نعلق فوقهما سروال أبي زيد الهلالي ونربطهما بعمامته وسوف تعتقد كل الطيور أن أبا زيد الهلالي مجرد خفير في حقل القمح..عاشت الطيور"[2].

لكي لا يذكر الكاتب اسم حاكم أو مسئول بعينه، قال: أبا زيد الهلالي، وقد أمعن في التعمية وضبابية التسمية، حين أوحى إلى أفراد الشعب، بالطيور، فإن هذه الطيور تخشى مجرد قطعة معلقة من ملابس الحاكم، فلتعش هذه الطيور المغفلة.

ويستخدم الإيحاء في عبارات التهديد بكشف التسمية، وذلك عندما يمتلك المرء السلطة من خلال حيازة المعلومة، فكون لديه إمكان استخدام أكثر من استراتيجية للتعبير عن مقصده، فيختار الخطاب التلميحي بدلاً من الخطاب المباشر. ويلجأ إلى هذه الإستراتيجية ـ في الغالب ـ السياسيون وزعماء الأحزاب، للإيحاء بأن لديهم ما يكشفونه عن منافسيهم أمام الناخبين، وأنهم أكثر صدقا وتطبيقا للمبادئ التي يدعون إليها. فكما تتصارع الحيوانات من أجل الحصول على حاجتها من الطعام والحيز المكاني والتحكم في النوع،

---

1ـ ينظر: إصلاح التفكير النيني أولاً، يعقوب محمد إسحاق، الفراشة للنشر والتوزيع،القاهرة، الطبعة الأولى 2006م، ص466.
2ـ كلمات الحق القوية، الصادق النيهوم، ص183.

يتصارع البشر إلا أن الانسان لا يعرض نفسه لخطر الصراع البدني الذي تستخدمه الحيوانات، وإنما ينغمس في استغلال إحدى المؤسسات الاجتماعية - وهي اللغة - في ممارسات خطابية تحقق له ما يريد بأقصر الطرق، وصراع القردة في رواية القرود، أو صراع حيوانات الغابة في رواية مثل واضح على ذلك.

"فهذا الضفدع زعيم حزب (الذين يتنفسون تحت الماء) يستنكر طيران الفيل... وهذه البومة زعيمة حزب (الذين يبصرون في الليل والنهار) تكتب حديثا في الصفحة الثالثة تنعت فيه الفيل بالرجعية...وهذ الثعبان زعيم حزب (الذين يزحفون صامتين على الشوك) يعقد مؤتمرا صحفيا بمقره في جحر الحزب يعلن فيه عن أسفه لهروب الفيل...نستطلع موقف حيوانات الشارع نجد معظمها واقفا في البار"[1].

إن الاستخدام الذكي للكلمات والعبارات المناسبة، يخلق مناخا ملائما لسيطرة اللغة وهيمنتها، إذا استخدمت في ظرف زماني ومكاني مناسب. ولكن الكلمات لا تملك القدرة الكاملة على الإيحاء بالمفاهيم المراد استحضارها، إلا إذا رافقتها حاجة ملحة. فاللغة مثل العكاز، أداة نتوكأ عليها عبر كل الطرق، لكنها لا تستطيع أن تحدد لك الاتجاه الذي تقصده، ما لم تعرف أنت المكان الذي تريده.[2]

---

[1]- الحيوانات، الصادق النيهوم، ص41-42.
[2]- ينظر: محنة ثقافة مزورة، الصادق النيهوم، ص19.

## المبحث الثاني

## الإيحاء لألفاظ يستقبح ذكرها (اللفظ المبتذل)

للغة وسائل متعددة تظهر في أشكال الخطاب، ويستخدمها الإنسان في شؤون تعامله مع الآخرين، و في التعبير عما يدور في ذهنه من أفكار لا سبيل إلى طرحها إلا بواسطة اللغة. فاللغة هي الكيان الثقافي للمجتمع الذي ينتمي إليه الفرد المستخدم لها، و الخطاب توظيف الفرد للغة في سياق معين يريد الحديث فيه عن حالة، أو موقف يتواصل فيه مع غيره.

تتفاوت أصناف الخطاب اللغوي في ما تحتويه من عناصر، وذلك حسب موضوعاتها وشخصيات مستخدمي اللغة في مثل تلك الخطابات، والأهداف المتوخاة من إنتاج الخطاب، لكن أصنافاً بعينها تتقدم غيرها كثيراً في هذا الشأن؛ وهي الخطابات التي تحوي ألفاظاً محرجة أو غير مستلطفة، تسبب حرجاً بسبب القيود الاجتماعية أي: ألفاظ والعبارات التي يفرض المجتمع قيوداً على استخدامها لدى جميع أفراده أو بعضهم، أو ما يسمى باللفظ المحظور.

فمثلما يكون انطلاق الطفل في اللغة عند تسمية الأشياء والأحداث والعلاقات، حيث يستعين بما يعرفه من مصطلحات تدل على أشياء ذات علاقة بما يبحث له عن تسمية، ويستمر في ذلك حتى وإن كانت تلك التسمية لا يفهمها سوى أفراد معدودين. فإن ذلك ما يحدث للفرد في بعض الموضوعات التي تتنوع طرق الحديث عنها، كالمواضيع التي تتعرض للناحية الجنسية، أو التي تشير إلى قضاء الحاجة، وغيرها، فتستقر في هذه المرحلة مجموعات كبيرة من الألفاظ والعبارات المترادفة، ومصطلحات التساوق، في كل من لغة الفرد واللغة المحلية العامة.

فـ "الكلمة ليست مجرد أصوات تنطلق في الفراغ، وإنما هي رموز لأشياء وأفكار في العالم الخارج عن اللغة ... وهذه العلاقة الرمزية بين الكلمات والأشياء والأفكار

تشترك مع طائفة أخرى من النظم ... من حيث كونها علامات اصطلاحية يستعان بها في توصيل دلالات اصطلاحية أيضا"[1].

وحيث إن الإنسان يتعلم الأشياء من خلال اللغة، وهو ما يجعلها حفرية معرفية يكتشف من خلالها تاريخ المرء وثقافته وبيئته التي عاش فيها. فإن المرء ينظر إلى عبارات لغته، خاصة الأمثال والتعابير الاصطلاحية وعبارات الاستعمال المحلي، بوصفها الطريقة المثلى أو الوصف المنطقي الوحيد للمواضيع المحرمة، والتي تشمل في أغلب المجتمعات فئات ثلاث: أولها المحرمة دينيا، والثانية المحرمة بسبب دلالتها الجنسية، والثالثة التي ينفر منها الناس لأسباب سياسية.

وبالرغم من أن ثالوث (الدين و الجنس والسياسة) يشكل أغلب مفردات أي ثقافة، إلا أن لغة المجاز هي السائدة في موضوعاته، من تلميحات ومبالغات ومحاولات تهوين وسخرية واستعارات. ففي تلك الموضوعات تفقد الصراحة والإشارة المباشرة، إذا ارتبطت بحساسية اجتماعية.

وتتباين القيود الاجتماعية على تلك الألفاظ، تبعا للعرق والطبقة والعمر والجنس، كما يختلف التجاوب أيضا تبعا لتلك العوامل، والأسباب الاجتماعية واضحة جدا في مراعاة التلطف في مثل هذا الموقف، ولأن الحالة الاجتماعية تختلف من أمة إلى أمة، ومن بيئة إلى بيئة، بل ومن جيل إلى جيل، فلعل ما يدعو إلى التلطف عند أمة، قد لا يدعوا إليه عند أمة أخرى.

ففي بعض المجتمعات المنفتحة في مناقشة القضايا الاجتماعية، تتضاءل قوة التحريم في مصطلحات كالمصطلحات الجنسية، وتفتقد بذلك كثيرا من قوة الصدمة عند استخدامها،

---

1- الكلمة دراسة معجمية، حلمي خليل، ص87.

مما يخرجها من دائرة المحظور، فيعبر الأفراد عن العورات والأمور المستهجنة بعبارات صريحة ومكشوفة.

وفي مجتمعات أخرى يتلمس الأفراد الميل للتعبير عن الحشمة والأدب فيلجأون إلى التلطف في الكلام، لتبلغ غرضها بأسلوب تراد ألطف و أحسن من الكشف والتصريح لأن ما تدل عليه هذه الألفاظ يعد مصدر استهجان لدى المجتمع[1].

فالأصل "في الكنايات عبارة الإنسان عن الأفعال التي تستر عن العيون عادة من نحو قضاء الحاجة والجماع، بألفاظ تدل عليها غير موضوعة لها، تنزها عن إيرادها على جهتها وتحرزا عما وُضع لأجلها، إذ الحاجة إلى ستر أقوالها كالحاجة إلى ستر أفعالها، فالكناية عنها حرز لمعانيها"[2].

فاللفظ الأساس المعبر عن العملية الجنسية، والذي أنتجته ثقافات ما، يصبح محظوراً بمرور الزمن، ويمقته الذوق الاجتماعي، لأنه ليس له دلالة إلا بوجود قرائن أخرى مرتبطة بالموقف أو السياق اللغوي الذي يرد فيه، أو لأن مجموعة صغيرة جداً هي التي تدرك ذلك المعنى، ولا تمثل بالتالي البيئة اللغوية. وتحلت محله عبارات مترجمة عن الثقافات الغربية مثل: العملية الجنسية أو ممارسة الحب وغيرها. أو تستبدل - في الغالب - بعبارات صريحة مستمدة من الثقافة الدينية والتي لم يحظر استخدامها مثل: الجماع أو المباشرة أو النكاح.

يقول النيهوم: " ثم إن المرء يستطيع أن يقتل الوقت بممارسة بعض الحب، فلماذا لا نترك هذا العجوز وشأنه ونعود على الفور"[3].

---

[1]- ينظر: اللغة والمجتمع، علي عبد الواحد وافي، شركات مكتبات عكاظ المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة، 1983م ص55.
[2]- المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء، الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1984، ص5-6.
[3]- كلمات الحق القوية، الصادق النيهوم، ص230، 231.

وفي مقطع من قصة قصيرة بعنوان (سيلفيا معروضة للبيع) يقول: "إن المرء لا يحتاج إلى معرفة اسم أحد لكي يتبادل معه الحب مقابل عشرة دولارات، ذلك عمل لا يحتاج إلى اسم على الإطلاق. إن المرء يغمض عينيه ويشد قامته وينطلق بجانب خنزيره إلى أي مكان"[1].

ويقول أيضا في سيرة تاريخ الرجل الليبي الاجتماعية: " ظل بوسعه - طوال ألف عام - أن ينعم بلعبة السيزة هادئ البال...ويعوج طاقيته لطي يعرف المارة أنه ريح الطرح ثم يعود إلى بيته في المساء وينعم بالحب وطبيخة القديد "[2].

وفي موضع آخر يقول: "لقد وقعنا في الحب، وتسكعنا طوال الليل، ورقصنا معا، ووضعنا خطة للمستقبل، ثم حملنا حقائبنا وذهبنا للسرير لكي نعقد زواجنا"[3].

يتضح مما سبق أن الحقائق التي نتحدث عنها في اللغة وبواسطة اللغة هي حقائق اجتماعية، وبالطبع ستكون قوانينها ومعطياتها متغيرة حسب ما يجري في المجتمع من تغيرات، مما يعني أن التفسيرات المختلفة التي تحتملها سياقات الثقافات موجودة بالفعل، وأن مجالات التباين بين حقائق الواقع وحقائق اللغة كبيرة.

وهذا الوضع جعل مستخدمي اللغة في أي ثقافة يسعون إلى إدخال ضوابط تحميهم من هشاشة الحقائق وسلبيات استخدامها، وتساعدهم على تجاوز المنعطفات المغلقة التي تضعهم فيها اللغة وتتمثل تلك الضوابط في بعض العبارات أو الألفاظ الجاهزة.

---

1- العودة المحزنة إلى البحر، الصادق النيهوم، ص47، 48.
2- فرسان بلا معركة، الصادق النيهوم، ص89.
3- العودة المحزنة إلى البحر، الصادق النيهوم، ص65.

وتعد المرأة وعلاقتها بالرجل وما يتصل بذلك من أحوال وأفعال و أعضاء، أبرز المجالات التي تدفع المتكلم إلى التلطف بشأنها، فيعدل إلى الكناية والإيحاء، وهي مطلوبة مستحبة في معظم اللغات، لأن كلمات هذا المجال مفضوحة تنفر منها الناس[1].

" فأنا ـ في الواقع ـ لم أفعل ما يستدعي غضبها. لقد جئت إلى هنا لكي أتبادل معها الحب وأمسك يدها على عادة الناس في أمستردام"[2].

وفي رواية الحيوانات عندما أرادت حكومة الغابة إجبار الثور على التسليم بها " قال الصرصور خبير التعذيب: الآن أريكم كيف يتألم. اذهبوا لاحضار امرأته البقرة. دعونا نعتدي على شرفها أمامه. إنه سيركع ضارعا على ركبتيه"[3]

وفيما يتعلق بالتعبير عن القضايا الجنسية في الثقافة العربية، فقد تضخم هذا المنحى إلى درجة لا تساويها فيه أي لغة أخرى، حيث أصبح هذا الجانب الدلالي هو (المعنى الإيحائي) لكل عبارة مفتوحة التأويل. فإذا أشار العربي إلى شيء مطلق فهو الجنس أو الدلالة الجنسية. وإذا غضب بشدة، فهو بسبب تيمة أو شك جنسي، لما تحدثه تلك الألفاظ بداخله من أثر. وإذا تحدث عن فضيحة بشكل مطلق. فهي فضيحة جنسية، مع ما تتحدث عنه شعوب العالم من فضائح مالية أو سياسية أو إدارية. فعندما نقول (قضية أخلاقية) نعني (قضية جنسية) أو (اعتداء أخلاقي) نعني (اعتداء جنسي) ونصف أي فعل نستنكره ونمقته ونغضب منه بالدعارة.

" أن يجلس المرء فوق سدته الخشبية ويدلق خطبة فوق رؤوس أطفاله باعتباره يعرف وحده كل شيء، فإن ذلك ـ في الواقع ـ مجرد دعارة تليق بمقام السدة"[1].

---

1ـ دلالة الألفاظ إبراهيم أنيس، ص142.
2ـ كلمات الحق القوية، الصادق النيهوم، ص258.
3ـ الحيوانات، الصادق النيهوم، ص31.

فـان يجلـس الأب ناصـحا أبنـاءه، فيتخـذ لنفسـه مرتبـة أعلـى فـي الجلـوس. يحاصـر عقـول أبنائـه، ويملؤهـا بمـا يريـد، ولا يتـرك لتلـك العقـول فرصـة للاختيـار والاسـتقلال، فـذلك مـا يستنكر بشدة تصل إلى درجة أن يوصف بالدعارة.

ويـالنظر إلـى معـاجم اللغـة العربيـة مـثلاً يسـتغرب كثـرة الألفـاظ الجنسـية، حتـى يخيـل إليـك أنـه لا تخلـو مـادة مـن مـواد المعجـم العربـي مـن لفـظ جنسـي، دال علـى اسـم أو فعـل أو حـال لـذلك الجانـب مـن حيـاة البشـر وحيـاة الحيـوان. وجانـب كبيـر منهـا مـن بـاب الكنايـة، حيـث كـان العربـي يكنـي عـن المـدرك الجنسـي بلفـظ، فـإذا اشـتهر ذلـك اللفـظ ودل علـى مـا كـان يكنـى عنـه صراحة، استحيا العربي من الاستمرار في استعماله فانتقل إلى كناية جديدة غامضة[2].

كمـا دون عـدد مـن المعجميـين كـل مـا فسـر فـي إطـار تلـك الموضـوعات، خاصـة الإطـار الجنسـي، علـى أن ذلـك المعنـى متضـمن فـي الكلمـة أو العبـارة، إذا خوطـب بهـا أحـد، مهمـا كـان السـياق، وذلـك يعنـي أنهـا لـم تعـد عبـارة خطـاب، بـل أصـبحت عبـارة لغويـة. وفـي كثيـر من مواد المعجم نجد التفسير الجنسي موضوعاً بوصفه أحد معاني جذر الكلمة.

ويـدخل ضـمن دائـرة المحظـور و اللامسـاس أيضـا، مـا يسـتقبح ذكـره كالألفـاظ والعبـارات التـي تـرتبط بألفـاظ الشـتائم والسـباب، والتـي ارتبطـت بظـروف اجتماعيـة خاصـة جعلتهـا قبيحـة الدلالـة، يـأنف المجتمـع مـن سـماعها والنطـق بهـا ممـا يجعلهـا تنـزوي، وتحـل محلهـا ألفـاظ أخـرى. نقـف علـى هـذا الاسـتنتاج مـن مقالـة (حادثـة فـي المدينـة القديمـة) التـي نسـجها الكاتـب علـى نمـط أقـرب مـا يكـون إلـى القصـة القصـيرة، بطلهـا إنسـان بسـيط يتحـدث الكاتـب علـى لسـانه شخصيا " سـمعت صـوتا مـن وراء البـاب يقـول لـي باللهجـة المحليـة: مـاذا تفعـل

---

[1]- ثلاث كلمات تقال بامتعاض عن مشكلة التراث العربي، الصادق النيهوم، ص42.
[2]- ينظر: عبقرية اللغة، عمر فروخ، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1981م، ص57.

هنا في شارعنا؟ امش يا ابن الكلب..ابحث عن خنزيرة مثلك"[1]. وتتكرر نفس المسبة في هذه القصة التي تنطوي على دلالات وإيحاءات غنية، وظفت لأجل ملامسة مظاهر التخلف، حيث كانت الناس تربي أبناءها الذكور على العنف، ولا يعترف المجتمع بحق الرجل الضعيف. ففي مقالة بعنوان (السباع) " لم يكن ثمة مكان واحد في العالم يلجأ إليه. كان والد يطل عليه من السماء وكان يقول له اخزي يابنية..اخزي ياعيلة "[2].

أما الألفاظ المرتبطة بالقذارة، كالألفاظ الدالة على قضاء الحاجة، فلا يكاد اللفظ منها يشيع، حتى يمجه الذوق الاجتماعي، وتأباه الآداب العامة فيستعاض عنه بآخر، إما من اللغة نفسها وإما اقتباس من لغات أجنبية، ومن ذلك: بيت الراحة، والمستراح، والكنيف وبيت الأدب، والمرحاض، والحمام، والتواليت، وغيرها.[3]

يقول النيهوم: "لكي يقطع الطريق على بعض ضيوفه السخفاء الذين يلجأون إلى الحيلة القديمة المزرية ويتظاهرون بالحاجة للذهاب إلى المرحاض لكي يلقوا نظرة جانبية على سيقان الحريم"[4].

وهذا ضرب من أضرب حسن التعبير، وهو تعبير كلامي يلجأ إليه المتكلم لتلطيف وقع الكلام على السامع، كالتعبير بالغائط أو بفضلات الطعام عن قضاء الحاجة، والتعبير عما يسيل من الأنف بالمخاط، وغير ذلك.

يقول النيهوم: "ماذا يبقى في الإنسان عندما يضع (ربه) في الخارج سوى حفنة من الأمعاء النتنة وفضلات الطعام؟"[5]

---

[1]- فرسان بلا معركة، الصادق النيهوم، ص52.
[2]- فرسان بلا معركة، الصادق النيهوم، ص207.
[3]- ينظر: علم الدلالة، فريد عوض حيدر، ص93.
[4]- فرسان بلا معركة، الصادق النيهوم، ص202.
[5]-العودة المعزنة إلى البحر، الصادق النيهوم، ص190.

"وكان المرء يعرف أنه لا يضم سوى أحقر أنواع الجن والصراصير. ومع ذلك فقد كان الليبيون في القرن الثالث عشر يدعونه أحيانا (بيت الأدب) من باب الأناقة في التعبير"[1].

يؤدي الإيحاء إلى أن تحمل هذه الأسماء معاني غير معانيها الأصلية. لأن الكلمة ما هي إلا مجموعة من الأصوات البريئة التي يضفي عليها المجتمع معنى معينا لحاجته إلى ذلك المعنى، كما يؤدي إلى أن تفقد كل اللغات بعضا من ألفاظها، وبالأخص التي تعبر عن تلك النواحي، لأن الكلمة البديلة تصبح فيما بعد كلمة بذيئة عندما تحمل الظلال الدلالية للكلمة الأولى، بعد عدد من السنين فيحظر استعمالها وتستبدل بغيرها ثانية[2].

فاللغة - إذا - مرآة ينعكس فيها كل ما يجري للناطقين بها في شؤون حياتهم الاجتماعية، العامة والخاصة، ويشمل ذلك العقائد والعادات والتقاليد، والمبادئ وغير ذلك، مما يعطي اللغة هذه الأهمية التي تتمتع بها. فما يكون عليه الأفراد في معاملاتهم وعلاقاتهم وكل شؤون حياتهم ينعكس صداه في اللغة.

---

1- فرسان بلا معركة، الصادق النيهوم، ص 205-206.
2- ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، تأليف خرما، عالم المعرفة، الطبعة الأولى، 1979م، ص245.

## المبحث الثالث

## الإيحاء لألفاظ يتشاءم من ذكرها (اللفظ المخيف)

إن الطريقة التي تستخدم بها اللغة هي جزئيا مكوّن أساس من مكونات الهوية الاجتماعية، فاستخدام الناس للغة يعكس معايير الجماعة. والسلوك البشري يحتاج إلى تفسير وإيضاح، ليس بلغة الأسباب والنتائج الثابتة، وإنما بوجود المعاني الاجتماعية، التي يتصرف على ضوئها الناس لتوليد الأشياء أو تدميرها. فالناس يجبرون أو يكيفون وفق المصادر التعبيرية المتيسرة في اللغة، وبواسطة التقاليد التي تتفق مع استعمالها.

إن استعمال اللغة هو ممارسة اجتماعية في أجلى صورها، وأي تغيير في الممارسة اللغوية هو ليس انعكاس لتغيير اجتماعي، بل هو التغير الاجتماعي نفسه، الأمر هنا يتطلب منا الإقرار بأن اللغة مؤسسة اجتماعية منظمة، وبعملها هذا فإنها تغير الذخيرة اللفظية من الرموز والخيارات الاجتماعية المتاحة أمام الأفراد الممثلين للمجتمع، وتلك الذخيرة اللفظية المتغيرة تكوّن إعادة تركيب وبناء. على الأقل لوجه من وجوه العلاقة الاجتماعية.

وتمثل اللغة بمقوماتها السحرية مكانا أو حقلا لبذر تحولات مرغوبة، حيث أن الأداء الكلي للمجتمع يتغير تبعا للخطابات السياسية والتربوية العقدية، التي تسري في كيانه، وجميعها ترتبط ارتباطا وثيقا باللغة. فالخطب والكلمات تذهب بشكل مباشر إلى إدراكنا، ودون أن تمر بأية مصفاة منطقية أو فكرية، يمكنها أن تضعف أو تقتل تأثير الكلمة في مخيلتنا. ولعله من الخطأ الزعم بأن كل التغير اللغوي الرمزي هو عبارة عن جهود منظمة وموجهة سياسيا لتغيير المعايير والأعراف الموجودة لدى المجتمع، إلا أن الكثير من التغيرات اللغوية والتي تؤدي بدورها إلى تغيرات اجتماعية، هي من ذلك القبيل.

ومما لاشك فيه أن اللغات تتأثر بحضارات الأمم ونظمها، وتقاليدها، وعقائدها واتجاهاتها النفسية والثقافية وغير ذلك، من شؤون الحياة الاجتماعية. فكل تطور يحدث في ناحية من هذه النواحي يتردد صداه في أداة التعبير وهي اللغة ولذلك تعد اللغات

أصدق سجل لتاريخ الشعوب. فكلما اتسعت حضارة الأمة، وكثرت حاجاتها، وارتقى تفكيرها، وتهذبت اتجاهاتها النفسية، نهضت لغتها وسمت أساليبها وتعددت فيها فنون القول.[1]

ويعود ذلك إلى تواضع الجماعة اللغوية أو المجتمع بشكل عام، فاللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية تخضع الفرد لما ترسمه، فالدوافع النفسية أو العاطفية التي تفرض على الجماعة اللغوية نهجاً محدداً في التعبير ليس للفرد إلا محاكاته وإتباعه.

ومن أبرز الدوافع النفسية التي تلجأ بسببها الجماعة اللغوية إلى أساليب التلطف في القول، و الإيحاء إلى المعاني بعبارات أرق وألفاظ ألطف، الخوف والرهبة، والتفاؤل والتشاؤم ونحوها، والتي تشمل كل الكنايات الخاصة بالمجالات التي تستبين منها الضعف الإنساني كالموت والمرض وأسماء بعض الحيوانات، والجن والسوام ونحوها، مما يلعب التفاؤل والتشاؤم فيها دوراً كبيراً. ففي مجالات تثير ألفاظها الخوف واليلع في نفوس البشر وينفرون من سماعها، ويتفادون ذكرها، فراراً مما تبعثه في الأذهان من ألم.

فكلمة الموت مثلاً قد اكتسبت قدراً كبيراً من قوة الدلالة ووضوحها، حتى أصبح من الضروري البحث عن غيرها، فكان أن وجدت العديد من الكلمات التي يكنى بها عن ذلك مثل كلمة (توفى) أو (فاضت روحه) أو (انتهى) أو (ابتغاه ربه) أو غير ذلك من الألفاظ الأقل شيوعاً وأقل أثراً، وسر التلطف والإيحاء في هذا المجال، هو ما استقر في أذهان الناس منذ القدم من الربط بين اللفظ ومدلوله ربطاً وثيقاً حتى صار يُعتقدُ أن مجرد ذكر الموت يستحضر الموت، وأن النطق بلفظ الحية يدعوها من جحرها فتنهش من ناداها أو ذكر اسمها.[2]

---

[1]- ينظر: اللغة والمجتمع، عبد الواحد وافي، ص13.
[2]- دلالة الألفاظ إبراهيم أنيس، ص 143-144.

يقول الثعالبي: "وتقول العرب في الكناية عن الموت: استأثر الله به، أسعده الله بجواره، نقله إلى دار رضوانه، اختاره الله"[1]. ولعل ذلك ما يفسر لنا تعدد مسميات بعض الألفاظ المترادفة في العربية.

في إحدى قصص الأطفال يصف الكاتب موت بائع الملح قائلاً: "فارتمى فوق فراشه وغاب في سبات عميق ولأول مرة خلت بنغازي من نداء بائع الملح"[2]. و في موضع آخر يبدو أنه لا يجد فرقاً يذكر بين حياة البسطاء والكادحين وموتهم إذ يقول: "بقلب ملؤه الحزن والأسى أرثي لكم المواطن (س.ل) الكائن بشارع بوغوله والذي انتقل صباح اليوم إلى قبر جديد، غير عنوانه. من بنغازي إلى رحمة الله، وحمله أصدقاؤه على أكتافهم وحدوه على الموت قائلين (هنيئا له..تريح)"[3].

كما يقول في وضع المرأة الليبية فيما مضى " ولهذا السبب كان المرء يضطر إلى بناء الباب الجواني. وكان يطلب من الحرمة ألا تتخطاه إلا في طريقها إلى الله"[4]. ويقول أيضاً: " قالت السيدة (ف.م) من منطقة دكاكين حميد عندما وقفت بين يدي الله"[5].

كما أن من أبرز أسباب ظاهرة التضاد في العربية، التعبير بلفظ محبوب عن لفظ مكروه، لأسباب نفسية، حيث لعبت غريزة التفاؤل والتشاؤم عند العرب دوراً كبيراً في نشأة بعض ألفاظ هذه الظاهرة، فكانت العرب تعدل عن الألفاظ الدالة على المعنى الحقيقي إلى ضدها تشاؤماً من التصريح بها، وتفاؤلاً بضدها.

---

[1]- الكناية والتعريض، ابو منصور الثعالبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1984، ص92.
[2]- من قصص الأطفال، الصادق النيهوم، ص26.
[3]- تحية طيبة وبعد،الصادق النيهوم، ص29.
[4]- فرسان بلا معركة، الصادق النيهوم، ص203.
[5]- المصدر نفسه ص147.

ومن الأضداد التي نشأت عن التفاؤل والتطير، قولهم: بصير وتطلق على الأعمى من باب التفاؤل، ولذلك كنى الشاعر الجاهلي الأعشى بأبي بصير. والسليم وتطلق على الملدوغ تفاؤلاً بالسلامة. واليسرى وتطلق على اليد الشمال التي يصعب العمل بها .

ولا يخفى على أحد ما تسلكه بعض المجتمعات العربية، وبالأخص الريفية منها تجاه بعض المسميات، وتكنيتهم عنها بأخرى خيرة الدلالة، فالحمى عندهم تسمى المبروكة، والنار تسمى العافية، والعين العوراء تسمى الكريمة، والفحم يسمى البياض

يقول الجرجاني: "واعلم أن العرب تتطير من ذكر البرص، فتكني عنه بالوضح، ومنه سمي جذيمة (الوضاح) ومما يتفاءل بذكره قولهم للفلاة (مفازة) لأن القفار في ركوبها الهلاك فكان حقها أن تسمى (مهلكة) ولكنهم أحسنوا لفظها تطيراً بها، وعكسوه تفاؤلاً، ومن ذلك تسمية اللديغ (سليماً) والأعور (ممتعاً) تطيراً من ذكر العور"[1].

وخضع عدد من الحيوانات لحظر الاستعمال تأثراً بفكرة الملامساس. فالثعبان والذئب والثعلب، بل والخنزير والماعز، قد حلت محل أسمائها ألفاظ خالية من فكرة الضرر والأذى في بعض اللغات[2]. ولكن يبدو أن أكثرها رهبة وخوفاً هو ابن عرس[3] ذلك الحيوان المتعطش للدماء، وهو ما يتضح من كثرة ما وجد له من تسميات، وعبارات براقة تدل عليه، ولكن بطريقة ملتوية غير مباشرة. فقد سماه الفرنسيون (الجمال الصغير ) كما سماه البرتغاليون و الإيطاليون (السيدة الصغيرة) وهو عند الأسبانيين (اللقلاق) وعند الدنماركيين (الجميل) و يدعى في الإنجليزية القديمة (اللطيف).

---

[1]- الكناية والتعريض، ابو منصور الثعالبي، ص70.

[2] - في بعض اللغات تتخذ القبيلة او العشيرة احد الحيوانات كرمزاً لها، ولقياً لجميع أفرادها، وتنزل الأمور المتعلقة به منزلة التقديس.

[3] - ابن عرس، جمعه بنات عرس، ويعرف مفرده بالعرسة، ومن الرهبة يرمز لها بالمعفية في بعض البلدان،و بأم أحمد في البعض الأخر.

ولكل مجتمع على صعيد ثقافته المحلية أسماء غريبة يكني بها عن ذكر الجن والشياطين لرعبه وخوفه الشديد من ذكر أسماءهم، ففي منطقة الخليج العربي يكنون عن ذكر الجن بعدة أسماء منها: أبو قرون، و حمار القايلة، ويسمون أنثاه أم ليول. وفي مصر يسمونهم (الأسياد). وفي ليبيا يكنى عن ذكر الجن بقول: (بسم الله الرحمن الرحيم).

" ذلك مؤلم وغير معقول جدا. أن تكون سيد العالم وتكون أيضا تحت رحمة خرارة البيت، أن تعتبر نفسك سيدا ثم تدعو مخلوقا آخر من سكان البالوعات بالأسياد. أن تهبط فوق القمر وعينيك على البالوعة"[1].

" وكنت أطمع بالطبع في الحصول على حجاب مماثل مقابل هذه الخدمة العارضة، فالمرء لا يستغني عن معونة الأسياد في صراعه ضد الوسطاء السيسليين[2]"[3].

والتلطف أو حسن التعبير المتمثل في الإيحاء لمثل هذه الأشياء أسلوب يعمد إليه المتكلم مع كل شيء مقدس أو ذي خطر، أو مثير للرعب والخوف، كما يطبقه على الأشياء الشائنة أو غير المقبولة لدى النفس.[4]

ومن ذلك ما توحي به حالة الأهل النفسية وقت التسمية، من خوف على المولود من مرض أو موت، أو تطلع لنجاحه وتحقيقه الرفعة والمجد اللذين ينشدونهما له، وهي ظاهرة قديمة لدى العرب بدءا من تسميات (يزيد) و(يعيش) واستمرارا بتسميات (كريم) و (فارس) و (حبيب) وغيرها.

---

[1] فرسان بلا معركة، الصادق النيهوم، ص164.
[2] ـ السيسيليون هم سكان سيسيليا الأصليين، والمقصود بها جزيرة صقليا.
[3] ـ فرسان بلا معركة، الصادق النيهوم، ص174.
[4] ينظر: دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ص204، 205.

وقد قيل في تحليل أسباب إطلاق العرب الأسماء القبيحة على أبنائها، مثل كليب و جحش و مرّة و حرب و جمرة وغيرها، والأسماء الحسنة على إمائها وعبيدها، أن العرب سمت أبناءها لأعدائها، بينما سمت إماءها وعبيدها لأنفسها.[1]

و قد تجاوز العرب ذلك إلى المبالغة في الوصف، فوصفوا ممتلكاتهم من الخيل والإبل، والأشياء التي يحبونها وبالأخص أبناءهم، بغير صفاتها الحقيقية خوفاً عليها من العين والحسد، فأطلقوا (الشوهاء) على الفتاة أو الفرس الجميلة لدرء العين والحسد عنها.

وهناك عادات مماثلة نلحظها في المأثورات الشعبية لكثير من الأجناس والأمم. ففي بلاد المجر في العصور الوسطى كانوا يسمون الأطفال بأسماء وقائية كأن يدعى الطفل مثلاً (بالموت الصغير) أو (ليس حيا) أو (القذارة) وذلك لصرف الأرواح الشريرة عنه، و للغرض نفسه اشتهرت بعض الأوساط الاجتماعية في مجتمعاتنا العربية، بتعليق بعض المواد ذات الروائح الخاصة، في أعناق الأطفال.

" وكان الأطفال دائما يفوحون برائحة البوكبير[2] الذي يستعمل للحماية من الحسد"[3].

كما ظهر الخلط بين الكلمة والشيء، وبين الرمز والشيء المرموز إليه، جلياً في بعض البيئات على شكل اعتقاد بامتلاك سلطة على صاحب الاسم، بمعنى أن معرفة اسم الشخص قد تشكل مدخلا للخطورة عليه، وبسبب هذا الاعتقاد نشأت عادات في ثقافات مختلفة من العالم، بإعطاء الأطفال عند الولادة أسماء حقيقية لا يعرفها إلا الوالدان، ولا تستخدم أبداً. وكذلك الأمر في الاسم المستعار أو اللقب الشائع الذي يسمى به في الأماكن

---

1- الاشتقاق، ينظر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1958م، ص31.
2-البوكبير نوع من أنواع النبات ذو الرائحة، شكله يشبه قطعة الخشب المصقولة، بثقب ويخلق في رقاب الأطفال.
3- فرسان بلا معركة، الصادق النيهوم،ص205.

العامة، انطلاقا من تفادي استخدام الاسم الحقيقي. وبهذا يصبح الطفل محميا من أن يخضع للهيمنة الروحية لأحد.

" الستارة قطعة من الخيش ترتفع بحذر وراء باب المواطن (ج.ل) وتطل من تحتها عينا ولده المدعو (بوشوال) من باب الرغبة في حمايته من الحسد"[1].

ولكون المقتنيات ومتعلقات الفرد - ومنها الاسم - في المجتمعات البدائية جزءاً من تكوينه؛ لا يفرق المجتمع بين الشخص وهذه الأشياء اللصيقة، فقد ابتدعت تلك الأمم الحيل للإيقاع بذلك السر، وربطت تقنيات علوم السحر بين هذه الأشياء المملوكة ومالكيها، فاستعار السحرة أسلوب استخدام قطعة من لباس الشخص المشبعة بأنفاس جسده لتوظيفيا في مكيدة الإيقاع به بمعونة التمائم، وتكتمل العملية في الحصول على أفضل النتائج، إذا أضيف اسم الشخص المقصود أو اسم أمه.

ولهذا السبب تحرص المجتمعات البدائية أشد الحرص على الاحتفاظ بالاسم سراً، وعدم البوح به، ولعل حياة المصريين القدماء - حيث سادت نزعة انتحال اسم آخر بدل الاسم الأصلي - خير برهان على يقين الأولين بخطورة الإفشاء[2].

فللكلمة دور نافذ في النفوس، ولهذا فإن الناس تتخير أحسن الألفاظ التي تختزل في ذاكرتها. لتكون أكثر موافقة بالمقارنة مع غيرها من الألفاظ. فنحاول في أحاديثنا أو كتابتنا دائما أن نتجنب بعض الألفاظ دفعا للأذى أو ترفعاً عما يرتبط بها من معان غير مقبولة اجتماعيا، لكونها تخدش الشعور العام، أو تجرح الحياء. وهذا الترفع عن بعض الألفاظ مصطلح عليه في جل اللغات، فاللغة مرآة المجتمع، ومستودع تراثه، وديوان أدبه. ففي

---

1- فريزر بلا معرفة، الصائق المفهوم، ص207.

2- ينظر: صحف إبراهيم ( متون ) ابراهيم الكوني، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 2005م، ص61-63.

بحاجات المجتمع، وترقى إلى المستويات الرفيعة وتكون مندمجة في محيطها، معبرة عن ثقافة المجتمع، ومواكبة لأحواله.

## خاتمة البحث:

خلاصة البحث أوجزها في نقاط رئيسة هي:

1- علم الدلالة يختص بدراسة دلالة البنية، أما البحث في بنية الدلالة فهو من صميم الدرس السيميائي، وهذا يعني أن البحث الدلالي تحصيل حاصل للبحث السيميائي. وليس العكس. أي أننا عندما نريد تفسير مكونات ظاهرة، فنحن بصدد دراسة سيميائية، أما عندما ننوي تفسير دلالة الظاهرة فإننا بصدد دراسة دلالية.

2- علم الدلالة يقابله المصطلح الفرنسي (semantique) والانجليزي (semantics) ويختص بدراسة ( الكلمات داخل اللغة ) انطلاقاً من البحث في ماهية الكلمة، والبحث في العلاقة التي تربط الكلمة بمعناها والعلاقة الموجودة بين كلمات اللغة الواحدة، وتحلل الطريقة التي تؤدي بها هذه الكلمات وظيفتها الدلالية. أما السيمياء أو علم العلامات، فهو تسمية شائعة لعلم يدرس دلالة العلامات اللغوية وغير اللغوية، مرتكزا في ذلك على التصورات البنيوية بالدرجة الأولى وهو في الأصل مجال لساني منطقي.

3- استقلت الدراسة الدلالية (la semantique) عن مختلف العلوم التي تهتم بدراسة العلامة، وبخاصة السيمياء واللسانيات، واختصت بدراسة معاني الكلمات. ومع ذلك ظلت تستعين بمختلف العلوم التي تفسر ظاهرة المعنى كالسيميائية واللسانيات والمنطق، بالإضافة إلى التحليل النفسي والاجتماعي، إلا أنها تستقل بدراسة وظيفة الكلمات وتحليلها، والتي هي نقل المعنى.

4- يرتبط المعنى (le sens) بالتصور الذهني الذي أنشأته العلاقة المرتبطة أصلاً بالمشاعر. أما الدلالة (signification) فإنها المعنى في حالات التحول، أي أنها المعنى زائد الوظيفة، أو استعمال المعنى في مواقف ووضعيات معينة.

5- الكشف عن الدلالة لا يقتصر، على إدراكنا الوظائف الصوتية والتركيبية والمعجمية للمفردات على مستوى التركيب، فقد ندرك ذلك و لا نصل إلى دلالتها الكاملة؛ لأنه لابد من توفر العنصر الاجتماعي أو سياق الحال. ولذلك توجه علم اللغة الحديث إلى دراسة الجملة في إطار النص، بعد أن كان الحدث الكلامي يدرس ويفسر مجرداً عن سياقه.

6- الرمزية والإيحاء في التعبير سلاح ذو حدين، فكما يلعب دور كبير في توصيل المعاني التي لا تقوى على التعبير عنها مباشرة، والتي نخشى التصريح بها لقيود معينة ويمثل مخرج يلجأ إليه المتكلم والكاتب على حد سواء، فإنه يمكن أن يكون أداة تستغل بها الجماهير، حيث تغلف بها شعارات معينة.

7- لا يمكن تجاهل اطروحات الصادق النيهوم التي يهدف من ورائها إلى إثارة النقاش حول المسلمات، إلا أن نهجه الذي بهرنا بتجرئه في مناقشة تلك (المسلمات) العرفية و السياسية والاجتماعية، على المستويين العربي والمحلي، فيما تناوله من مواضيع، لم يصل به إلى العالمية.

أما كتاباته في إما: كتابات اجتماعية محلية، تناول فيها المرأة والطفل ومشاكل المراهق و الخرافات و غيرها. وكتابات عامة، أثار فيها قضايا عرفية وسياسة. وإما كتابات شخصية تحدث فيها عن معاناته وهمومه الخاصة، كالفقر والغربة والصراعات الفكرية تجاه الثقافات المختلفة التي عاشها.

8- يتميز أسلوب النيهوم بالجمل القصيرة، المركزة، في مواضيع قصيرة لم تتجاوز الصفحة الواحدة (في صحيفة الحقيقة) ومن الأربع إلى خمس صفحات (في مجلة الناقد) وأما أطول رواياته (من مكة إلى هنا) فلم يتجاوز عدد صفحاتها مائة وثماني وأربعين صفحة من الحجم الصغير.

9- اعتبر النيهوم قارئه صديقاً حميماً يمكن مناقشته في كل المواضيع حتى المحظور منها ووضع أمام المواطن الليبي - في كتاباته الاجتماعية - مرآة يرى فيها تناقضاته، فحاول تنبيهه إلى أنه يعيش في عصر العلم والمعرفة، دون أن يستخف بقدرته على فهم ما يصبو إليه. فلا يحتاج ذلك المواطن إلى كثير من البحث ليجد (الحاج الزروق والحاجة مدلله) في حياته اليومية، وقد اعتمد في ذلك كثيراً على الدلالات الهامشية للألفاظ والتراكيب.

10- اتحفت كتابات النيهوم القارئ العربي بثروة لغوية أكدت بما لايدع مجالاً للشك أنه كاتب متمرس في صناعة الكلمة، بالإضافة إلى أنه فذاً، ويقدم دوماً أفكاراً وآراء جديدة.

# المصادر والمراجع


1. أسئلة، الصادق النيهوم، تالة للطباعة والنشر، طرابلس، الطبعة الأولى، 2002م.
2. أساس البلاغة، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق محمد باسل عيون السود 1998،الجزء الأول.
3. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1978م.
4. الاشتقاق، محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة الأولى، 1958م.
5. إشكاليات القراءة وآليات التأويل، د. حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الطبعة السادسة 2001م.
6. أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، د. نايف خرما، عالم المعرفة، الطبعة الأولى
7. بحوث ودراسات في علم اللغة، د. مجدي إبراهيم محمد إبراهيم، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، 2004م.
8. التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، د. محمود عكاشة، القاهرة،دار النشر للجامعات، الطبعة الأولى، 2005 م.
9. تحية طيبة وبعد، الصادق النيهوم، تالة للطباعة والنشر، طرابلس، الطبعة الثانية 2001م.
10. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الشرعية

الخامسة عشر،2001 م.

11. التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة، د. كريم زكي حسام الدين، دار غريب للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2003 م.

12. التعريفات، الشريف الجرجاني، القاهرة، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر، الطبعة الأولى،1306 م.

13. ثلاث كلمات تقال بأمانة عن مشكلة التراث العربي، الصادق النيهوم، سلسلة دراسات نشرت في صحيفة الحقيقة عامي 1969ـــ1970م، إعداد وتحقيق سالم الكبتي، تالة للطباعة والنشر طرابلس.

14. الحيوانات، الصادق النيهوم، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابس، الطبعة الأولى 1984م.

15. الخروج من التيه دراسة في سلطة النص، د. عبد العزيز حمودة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، الطبعة الأولى، 2004 م.

16. دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة 1980م.

17. الدلالة اللفظية، د. محمود عكاشة، الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة الطبعة 2002.

18. شرح المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام، بشرح المقدمة الأدبية لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار العربية للكتاب، ليبيا/ تونس،ط2، 1978م.

19. صحف ابراهيم ( متون ) إبراهيم الكوني، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 2005 م.

20. طرق مغطاة بالثلج عن الصادق النيهوم، جمع وإعداد وتقديم سالم الكبتي، تالة للطباعة والنشر، طرابلس، الطبعة الأولى 2001م.

21. عبقرية اللغة، د. عمر فروخ، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1981م.

22. العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي، د. عبد الواحد حسن الشيخ، مصر مكتبة الإشعاع الفنية، الطبعة الأولى، 1999 م.

23. علاقة الجبر والهمس بالمعاني، د. أحمد سليمان، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد الرابع والثلاثون، المجلد التاسع، 1989م.

24. علم الدلالة دراسة وتطبيقاً، د. نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قار يونس بنغازي، الطبعة الأولى،1995 م.

25. علم الدلالة، أ.د أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة السادسة، 2006 م.

26. علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل، اتحاد الكتاب العرب، الطبعة الأولى،2001 م.

27. علم الدلالة، دراسة نظرية وتطبيقية، د.فريد عوض حيدر، مكتبة الآداب،القاهرة الطبعة الأولى، 2005 م.

28. علم اللغة تحديد وتوضيح، د. عبد العزيز مطر، دار قطري بن الفجاءة، قطر،

1985م.

29. علم اللغة، د. محمود السعران، دار المعارف المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1962م.

30. عناصر تحقيق الدلالة في العربية، د. صائل رشدي شديد، الأهلية للنشر والتوزيع الأردن، عمان، الطبعة الأولى، 2004 م.

31. فرسان بلا معركة، الصادق النيهوم، تالة للطباعة والنشر، طرابلس، الطبعة الثانية 2001م.

32. القراءة وتوليد الدلالة، د. حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب. الطبعة الأولى، 2003 م.

33. القرود، الصادق النيهوم، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الطبعة الأولى 1983م.

34. كلمات الحق القوية، الصادق النيهوم، تالة للطباعة والنشر، طرابلس، الطبعة الأولى 2002م.

35. الكلمة والصورة، سلسلة دراسات نشرت في صحيفة الحقيقة 1966م، إعداد وتحقيق سالم الكبتي، تالة للطباعة والنشر، طرابلس.

36. الكلمة، دراسة لغوية ومعجمية، د. حلمي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، 1980 م.

37. الكناية والتعريض، أبو منصور الثعالبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،1984 م.

38. اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الخامسة2006 م.

39. اللغة والمجتمع، د. علي عبد الواحد وافي، شركات مكتبات عكاظ، المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة، 1983 م.

40. محاضرات في اللسانيات العامة والتاريخية، زبير دراقي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990 م.

41. محنة ثقافة مزورة صوت الناس أم صوت الفقهاء، الصادق النيهوم، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، الطبعة الأولى1991م.

42. مدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي، مكتبة نهضة الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، 1995 م.

43. معجم اللغة النظرية، إنكليزي - عربي، د. محمد الخولي، بيروت، مكتبة لبنان، 1982م.

44. من قصص الأطفال، الصادق النيهوم، تالة للطباعة والنشر، طرابلس، الطبعة الأولى 2002م.

45. من مكة إلى هنا، الصادق النيهوم، تالة للطباعة والنشر، طرابلس، الطبعة الثانية 2001م.

46. المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء، الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 1984 م.

47. النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب

الجامعي، الطبعة الأولى، 2005 م.

48. نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، د. عبد النعيم خليل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2007 م.

49. نوارس الشوق والغربة بعض من رسائل النيهوم، جمع وإعداد سالم الكبتي، تالة للطباعة والنشر، طرابلس، الطبعة الأولى، 2002م.

50. وصف اللغة العربية دلالتيا، د. محمد محمد يونس علي، الجماهيرية، طرابلس منشورات جامعة الفاتح، الطبعة 1993 م.

51. الوعي اللغوي، منير الحافظ، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، 2005 م.

## الكتب المترجمة

1_ دروس في الألسنية، دي سوسير، الدار العربية للكتاب، بيروت، ترجمة صالح القرمادي الطبعة الأولى 1985 م.

2_ دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، عن كتاب ( كلماتنا ونحن ) لستيفن أولمان دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية عشر،1997م.

3_ سيكولوجية الجماهير، غوستاف لوبون، ترجمة وتقديم هاشم صالح، دار الساقي، بيروت 1991م، دون طبعة.

4_ اللسان والمجتمع، هنري لوفيفر، ترجمة مصطفى صالح، وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق، 1983 م.

5_ اللغة، جوزيف فندرس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،الطبعة الأولى، 1950.

## الدوريات

1_ القراءة، عبد الله إبراهيم، صحيفة الراية، يومية سياسية تصدر عن شركة الخليج للنشر والطباعة، نشر المقال بتاريخ 18-8-2005 م.

2_ اللغة العربية وتحديات العصر الحديث، بسام بركة، مجلة حوار العرب، العدد5، أبريل 2005 م.

3_ مجلة الفكر العربي المعاصر، موريس أبو ناضر، العدد 18، 19-3-1982، من كتابه مدخل إلى علم الدلالة الألسني.

4_ الوظيفة الدلالية في ضوء مناهج اللسانيات، سامي عوض وهند عكرمة، بحث نشر في 2006/5/18م بمجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد(28) العدد(1) 2006 م.